بشائر الأخيار فى مولد المختار

للامام المجدد السيد محمد ماضي ابوالعزائم

مسجده وضريحه ومكتبته العلمية بالقاهرة

ومشيخة الطريقة العزمية

السيدة زينب تقاطع شارع مجلس الشعب مع تقاطع شارع

بورسعيد

تليفون المكتبة 002 022 3901030

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة الكتاب

الحمد لله أحمده كما ينبغى لكرم وجهه وعز جلاله، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد النبى الأعظم، من أضاء سريرة الكون بنور رسالته، وعلى آله الطيبين الطاهرين . ورضى الله تبارك وتعالى عن إمامنا ومرشدنا الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم عليه السلام، ونضر الله وجه خليفته الأول مولانا الإمام الممتحن السيد أحمد ماضى أبى العزائم آمين . وبعد. . .

فتقدم دار الكتاب الصوفي – وهى إحدى الهيئات التابعة لمشيخة السادة العزمية – الطبعة الرابعة من كتاب : « بشائر الأخيار فى مولد المختار» ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ ، وذلك فى عبير الجو النورانى الذى يعطر الحياة بأنفاس شهر ربيع الأول، شهر مولد النور، ومبعث الرحمة، ورسول الهدى، الذى ولد على قدر وميقات، لتبلغ به ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ الإنسانية كمالها، وتطلق العقول من أغلالها، وترتفع إلى ربها بالمحبة .

فلقد كانت تتردد فى ليلة مولد الرسول ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ قصص قديمة، فيها كثير من الأساطير التى لا تتفق مع حقائق السيرة النبوية الصحيحة، فأملى الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم قصة المولد فى هذا الثوب الجديد . وبذلك جاءت هذه القصة، علاجا لما كنا نشكو منه مر الشكوى من الخرافات التى أضيفت إلى حقائق السيرة، التى كانت تتردد بمناسبة إحياء مولد الرسول ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ .

وكتاب : « بشائر الأخيار فى مولد المختار» ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

وَسَلَّمَ﴾ كنت قد تناولت فى مقدمة طبعته السابقة حكم الاحتفال بمولده ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ خاصة، وموالد أهل البيت وأولياء الله الصالحين عامة ولكنى رأيت أن أفرد هذا البحث فى كتاب سأصدره قريبًا بمشيئة الله باسم : « إحياء مولد البشير يبدد ظلمة قلوب أهل التكفير » .

وكتاب : « بشائر الأخيار فى مولد المختار» ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ يتضمن أبوابا خمسة .

الباب الأول يوضح فيه الإمام أبو العزائم نسبه ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾، وأنه ولد من الأصلاب الطيبة والأرحام الطاهرة مصفى، لا تتشعب شعبتان إلا كان ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ فى خيرهما .

الباب الثانى يبين فيه ﷺ مولده الشريف، ذلك اليوم المشهود يوم الحق والخلود، يوم أن أشرقت الأرض بنور ربها، فبرز إلى الوجود صفوة خلق الله أجمعين وسيد الأنبياء وإمام المرسلين .

وفى الباب الثالث دراسة مقارنة بينه ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ وبين موسى عليه السلام من جانب، وبينه وبين سائر الأنبياء الكرام من جانب آخر، ليتضح للقارىء المسلم أنه جاء صلوات الله وسلامه عليه جامعا لخصائص الأنبياء كافة، ثم ظفر فوق ذلك بالمقام المحمود الذى لا ينبغى لأحد سواه .

وفى الباب الرابع يدور البحث حول أن الرسول ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾، رحمة الله المهداة، ونعمته المسداة، ليصنع منا خير أمة أخرجت للناس .

وفى الباب الخامس يعنى الإمام بموضوع حكم الاحتفال بالمولد النبوى

الشريف من الوجهة الشرعية .

فإذا كنت قد نجحت فى عرض موضوعات البحث، وتبويب مسائله، وتقسيم مواده، وتحقيق الأغراض التى قصدت إليها، على النحو الذى سيبين للقارىء عند تصفحه لهذا الكتاب . فإنى أرجو أن أكون قد وفقت إلى وضع منهج لم يكن معروفا من قبل فى نشر مؤلفات الإمام أبى العزائم، يقوم على أساسه إخراج هذه الثروة العلمية . كما أهتديت إلى رسم معالم محددة لتراث علمى ينبغى أن يعتبر بعثا عقليا جديدا، يضاف إلى ثروة الثقافة الإسلامية .

وإننى إذ أقدم قصة المولد (بشائر الأخيار فى مولد المختار) ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ أريد أن أسهم به فى إيجاد نهضة لإحياء دراسة كتب الإمام أبى العزائم على نسق جديد، كما أريد أن أعاون على نشر هذا التراث العلمى، وبذلك أضرع إلى الله أن أكون محل تنزل دعوات جدى الإمام التى أوردها فى ختام هذا المولد حيث يقول عليه السلام :

« اللهم تنزل بإحسانك وعفوك وحنانك، لكل من أعان على تلاوة هذا المولد الشريف واجعله يا إلهى فى حصون الأمان . . . . » .

فالله أسأل أن يبدو هذا الكتاب فى ثوبه الجديد أحسن وضعا، وأحكم صنعا، وأنظم بحثا، خاصة بعد أن راعيت فى طبعته هذه تحقيق بعض أعلامه، وضبط بعض ألفاظه، وإيضاح ما خفى من عباراته وكلماته ليكون أقرب منالا، وأسرع بالفهم اتصالا، حتى يحقق ما تقصد إليه السيرة النبوية الطاهرة، لتكون للمؤمنين الأسوة الحسنة فيقوموا على هديها، ويترسموا خطاها، ويأخذوا بعزماتها، وينهجوا منهاجا، والله المستعان وبه التوفيق، سبحانه، نعم المولى ونعم النصير .

دار الكتاب الصوفي

فى يوم الإثنين

٢٦ جماد ثانى ١٤٠٥ هـ

١٨ مارس ١٩٨٥ م

الخليفة الثاني

السيد عز الدين ماضي أبو العزائم عليه السلام

إلى سيدي ومولاي الإمام السيد عز الدينماضي أبي العزائم – قـدس الله سره – أهدي هذه الطبعة الجديدة من كتاب "بشائر الأخيار في مولد المختار" ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ وهو بكله ثمرة جهده،ما لي فيه من فضل، فهو الذي جمعه ونظمه وعلق عليه وأشار إليه،ووضع كل ما فيـه مـن لمسـات عرض،وفن إخراج...لأنه رضي الله عنه صاحب الهمة السامية العالية التي شهد لها العدو قبل الصديق.

مشيخة الطريقة العزمية

عرة ربيع الأول ١٤١٧هـ

١٧ يوليو ١٩٩٦م

الخليفة الثالث

السيد محمدعلاء الدين ماضي أبو العزائم عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

التماس الطبعة الأولى

للإمام الممتحن السيد أحمد ماضى أبى العزائم عليه السلام

١٣٤٠ هـ ـ ١٩٢١ م

الحمد لله الذى إذا دُعى به على مغالق أبواب السماء انفتحت، ومضائق أبواب الأرض انفرجت، وعلى العُسَر تيسرت، وعلى الأموات انتشرت، وعلى البأساء والضراء انكشفت . والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ أفضل صلواتك وأجزل كراماتك، وبلغه منا تحية وسلاما . وعلى آله حجج الله الأوفياء، وأوليائه الأمناء . ورضى الله تبارك وتعالى عن الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم القائم بأمره والعامل بإرادته، والفائز بكرامته، من أقامه المولى إماما لهذا الزمان، فاصطفاه بعلمه، وأمده بروحه، واستخلفه للدلالة على صراطه المستقيم، بين هذه السبل التى تفرقت عن سبيله .

وبعد :

فإن مولد سيدنا رسول الله ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ يرسم لنا الخط الفاصل بين مرحلتين من تاريخ البشرية، مرحلة الجاهلية والظلم والتخلف والطغيان، ومرحلة الهدى والعدل والحضارة الإنسانية السامية .

لذلك فقد تعالى صوت المستضعفين، ومدت الموءودة يدها، وتهامست القلوب المعذبة، ودارت العيون الحيرى، تبحث عن المنقذ والهادى، تبحث عن الأمل الموعود، عن النبى المنتظر، دعوة إبراهيم، ونبوءة موسى، وترنيمة داود، وبشارة عيسى . والكل يتساءل !!

متى تستجاب الدعوة ؟
ومتى تتحقق النبوءة ؟
ومتى تسمع الترنيمة ؟
ومتى تأتى البشارة ؟

وشاء الله أن يولد النور فى رحاب مكة، ويشع الوحى فى سمائها، ويعلو صوت التوحيد فى الحرم الأمين، حرم إبراهيم وإسماعيل .

وقد صنَّف فى مولد الرسول – كبار علماء الأمة من الحفاظ الأئمة – كتبا كثيرة، وظهرت لهم موالد مشهورة معروفة، منها المنظوم والمنثور . لذلك فقد التمست من والدى الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم عليه السلام أن يملى علينا كتابا عن مولد الرسول ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾، فأجاب ملتمسنا وأملى كتاب : « بشائر الأخيار فى مولد المختار» ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ .

وإنى لم ألخص موضوعه فأفسد على التالى لهذا المولد متعته به، ولكنى أسأل الله أن يُنتفع به، ويَجزل الثواب لمن تابع نشره .

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى أَظْهَرَ غَيْبَهُ ٱلمَكْنُونُ جَلِيًّا، وَأَشْهَدَ أَوْلِيَاءَهُ ٱلْجَمَالَ ٱلْعَلِـــىَّ، خَلَقَ ٱلخَلْقَ سُبحَانَهُ لِيَدُلَّهُمْ بِهِ عَلَيْهِ، وَلِيُوَصِّلَهُمْ بِحَبِيبِهِ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِـــهِ وَسَلَّمَ﴾ إِلَيْهِ .

خَلَقَ ٱلنُّورَ ٱلْمُحَمَّدِىَّ مِنْ نُورِهِ ٱلْعَلِىِّ، وَوَاثَقَ لَهُ ٱلرُّسُلَ فَهُوَ لَهُـــمْ ٱلْـــوَلِىُّ، أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ بَدْءًا لأَرْوَاحِ عَالِينَ، فَهُوَ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ رَسُولُ ٱلْمُرْسَلِينَ، قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَـــذِيراً﴾ (١)

وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٢) أَقَامَهُ سُبْحَانَهُ مَقَامَ نَفْسِهِ، وَقَرَّبَهُ وَوَالاَهُ، فَقَالَ جَلَّ جَلاَلُهُ : ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ ﴾ (٣)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ (٤) .

وَٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلاَمُ عَلَى حَبِيبِ ٱللَّهِ وَمُصْطَفَاهُ، شَمْسِ ٱلْحَقِّ ٱلْمُشْرِقَةِ بِنُورِ

---

(١) سبأ : ٢٨ .
(٢)الأنبياء : ١٠٧ .
(٣) النساء : ٨٠ .
(٤) الفتح : ١٠ .

هُدَاهُ، شَفِيعِ ٱلْمُذْنِبِينَ يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى ٱللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ.

وَبَعْدُ فَيَقُولُ عَبْدُ ٱللَّهِ – مُحَمَّدُ مَاضِي أَبُو ٱلْعَزَائِمِ : مَعْلُومٌ أَنَّ كَمَالَ ٱلاتِّبَاعِ لِرَسُولِ ٱللَّهِ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾، يَتَحَقَّقُ بِكَمَالِ مَحَبَّتِهِ، وَبِالإِخْلاَصِ فِي مُعَامَلَتِهِ، حَتَّى يَكُونَ أَحَبُّ إِلَى ٱلْمُسْلِمِ مِنْ نَفْسِهِ ٱلَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ لِيَفُوزَ مِنَ ٱللَّهِ بِخَيْرِ مَا لَدَيْهِ .

وَلَمَّا كَانَ ٱلْحُبُّ لاَ يَتَحَقَّقُ إِلاَّ بِمُشَاهَدَةِ هَذِهِ ٱلأَوْصَافِ ٱلْمُحَمَّدِيَّةِ، وَعِلْمِ ٱلْمَقَامَاتِ ٱلْمُصْطَفَوِيَّةِ، وَفَهمَ مَا خَصَّهُ ٱللَّهُ بِهِ مِنْ حَقِيقَةِ ٱلاصْطِفَا، وَتَفَضُّلَ عَلَيْهِ بِهِ مِنَ ٱلصَّفَا، أَحْبَبْتُ أَنْ أُبَيِّنَ قَطْرَةً مِنْ مُحِيطِ كَمَالاَتِهِ، وَبَارِقَةً مِنْ سَوَاطِعِ آيَاتِهِ، لِتُشْرِقَ تِلْكَ ٱلأَنْوَارُ ٱلْعَلِيَّةُ، عَلَى جَوَاهِرِ ٱلنُّفُوسِ ٱلزَّكِيَّةِ، ٱلَّتِي صَاغَهَا ٱللَّهُ مِنْ نُورِ إِحْسَانِهِ، لِتَنْجَذِبَ إِلَى ٱللَّهِ تَعَالَى بِجَوَاذِبَ حَنَانِهِ .

وَأَرْجُو ٱللَّهَ أَنْ يَكُونَ لِي قِسْطًا وَافِرًا مِنْ تِلْكَ ٱلأَنْوَارِ، لأَتَمَثَّلَ ٱلْحَقِيقَةَ بِهَذَا ٱلْمِقْدَارِ، وَأَحْظَى بِالْمُثُولِ فِي مُوَاجَهَةِ ٱلْمُخْتَارِ، ٱللَّهُمَّ ٱشْرَحْ صُدُورَنَا لِلْعَمَلِ بِسُنَّتِهِ، وَرَوِّحْ أَرْوَاحَنَا بِرَيْحَانِ مَحَبَّتِهِ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

ٱلْبَابُ ٱلأَوَّلُ

فِي ٱلنَّسَبِ وَبَدْءِ ٱلنُّبُوَّةِ وَٱلحَمْلِ

ٱلْفَصْلُ ٱلأَوَّلُ

نَسَبُهُ ٱلشَّرِيفُ

تَحَقَّقَتْ عِنَايَةُ ٱللَّهِ تَعَالَى، مِنَ ٱلْبَدْءِ إِلَى ٱلنِّهَايَةِ بِمُرَادِهِ ٱلْمَحْبُوبِ، وَفَرْدِهِ ٱلْمَطْلُوبِ فَصَاغَ جَوْهَرَ نَفْسِهِ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ مِنْ نُورِهِ ٱلْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ، وَأَقَامَهُ فِي مَقَامِ ٱلْمُوَاجَهَةِ، وَأَقْبَلَ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ، فَكَانَ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾، وَلاَ وُجُودَ لِرُوحٍ وَلاَ مَلَكٍ، بَلْ وَلاَ مُحِيطٍ وَلاَ فَلَكٍ، مُوَاجِهًا بِأَنْوَارِ ٱلْعِزَّةِ وَٱلْجَبَرُوتِ، مُجَمَّلاً بِحَنَانَةِ مُنَازَلَةِ ٱلنَّعَمُوتِ . كَمَا قَالَ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ لِجَابِرَ، جَوَابًا عَلَى سُؤَالِهِ ٱلْمُتَوَاتِرِ : « خَلَقَ نُورَ نَبِيِّكَ مِنْ نُورِهِ يَا جَابِرُ » .

لِذَلِكَ ٱقْتَضَتْ حِكمَتُهُ ٱلْعَلِيَّةُ ٱنتِقَالِهِ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾لِكَمَالِ ٱلْخُصُوصِيَّةِ . مِنْ ظُهُورِ ٱلأَفْرَادِ إِلَى ٱلْبُطُونِ ٱلْمَصُونَةِ ٱلنَّقِيَّةِ، فَكَانَ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ فِي ظُهُورِ آدَمَ حَقِيقَةَ ٱلأَنْوَارِ، ثُمَّ تَنَقَّلَ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ إِلَى أَئِمَّةِ ٱلأَخْيَارِ، ٱلسَّادَةِ ٱلأَطْهَارِ، حَتَّى أَبْرَزَهُ ٱللَّهُ شَمْسًا أَضَاءَتِ ٱلآفَاقِ، فَأَظْهَرَتْ أَنْوَارُ ٱلْخَلاَّقِ .

فَهُوَ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا وَحَبِيبُنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ، ٱبْنُ كَنْزِ هَذِهِ ٱلدُّرَّةِ ٱلْيَتِيمَةِ ٱلذَّبِيحِ عَبْدِ ٱللَّهِ، بْنُ شَيْبَةَ ٱلْحَمْدِ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ ٱلَّذِي حَفَرَ زَمْزَمَ وَمَوْلاَهُ وَالاَهُ، بْنُ هَاشِمٍ ٱلَّذِي هَشَمَ ٱلثَّرِيدَ لِزُوَّارِ

بَيْتِ ٱللَّهِ، بْنُ قُمَرَ ٱلْبَطْحَاءِ عَبْدِ مَنَافٍ ٱلَّذِى نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ وَٱقْتَدَى ٱلْعَرَبُ بِهُدَاهُ، بْنُ قُصَىٍّ ٱلَّذِى بَعْدَ مَعَ أُمِّهِ وَٱللَّهُ أَرْجَعَهُ إِلَى ٱلْحَرَمِ وَفِيهِ رَقَّاهُ، بْنُ حَكِيمٍ وَسُمِّى بِكِلَابٍ لأَنَّهُ كَانَ فَارِسَ ٱلْحَرَمَ يَحْمِى حِمَاهُ، وَيَصْطَادُ بِالْكِلَابِ لِيُطْعِمَ مَنْ دَانَاهُ بِنِ مُرَّةَ ٱلَّذِى قَهَرَ بِالْحِكْمَةِ منْ عَادَاهُ، بْنُ كَعْبٍ ٱلَّذِى جَمَعَ ٱللَّهُ بِهِ قُلُوبَ ٱلْعَرَبِ فِى يَوْمِ ٱلْعُرُوبَةِ مِنْ كُلِّ أُسْبُوعٍ لِيَذْكُرَهُمْ بِبَعْثَةِ رَسُولَ ٱللَّهِ – وَهُوَ ٱلَّذِى سَمَّى يَوْمَ ٱلْعُرُوبَةِ بِٱلْجُمْعَةِ لِيَجْمَعَ ٱلْعَرَبُ لِلدُّعَاءِ وَٱلْمُنَاجَاةِ، وَبَشَّرَ بِأَنَّ ٱلنَّبِىَّ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ مِنْ وَلَدِهِ وَبِأَنَّهُ خَاتَمُ رُسْلِ ٱللَّهِ، وَكَانَ يُنْشِدُ بَعْدَ حَثِّ ٱلْعَرَبِ عَلَى ٱتِّبَاعِهِ وَٱلإِيمَانِ بِهِ .

يَا لَيْتَنِى شَاهَدْتُ فَحْوَاءَ دَعْوَتِهِ حِينَ ٱلْعَشِيرَةِ تَبْغِى ٱلْحَقَّ خُذْلاَنَا .

ٱبْنُ لُؤَىِّ بْنُ غَالِبِ بْنُ فَهْرٍ وَسُمِّىَ قُرَيْشًا لأَنَّهُ كَانَ يَبْحَثُ عَنِ ٱلْمُحْتَاجِ فَيُعْطِيهِ مُنَاهُ، وَإِلَيْهِ تُنسَبُ قُرَيْشَ لأَنَّهُ قَرَشَ ٱلْمُحتَاجِينَ وَوَسِعَهُمْ بِنُعْمَاهُ، بْنُ مَالِكٍ لأَنَّهُ مَلَكَ ٱلْحَرَمَ وَمَا حَوَاهُ بْنُ ٱلنَّضْرِ وَٱسْمُهُ قَيْسُ بن كِنَانَةَ وَهُوَ ٱلَّذِى جَمَعَ قُرَيْشًا بِحُكْمِهِ وَجَدْوَاهُ . بْنُ خُزَيْمَةَ بْنُ مُدْرَكَةَ بْنُ إِلْيَاسَ، وَإِلْيَاسُ أَوَّلُ مَنْ أَهْدَى ٱلْبُدْنَ لِلبَيْتِ فَاسْتَتَّتِ ٱلْعَرَبُ بِهُدَاهُ، وَسَمِعَ فِى صُلْبِهِ تَلْبِيَةَ ٱلنَّبِىِّ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ بِالْحَجِّ سَامِعًا دُعَاهُ ٱبْنُ مُضَرَ بْنُ نزَارَ، وَسُمِّىَ نَزَارًا لِشُهُودِ نُورِ ٱلنَّبِىِّ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَشَكَرَ أَبُوهُ ٱللَّهَ، وَأَطْعَمَ ٱلعَرَبَ وَقَالَ : (هَذَا ٱلطَّعَامُ نُزَارَ – أَىْ قَلِيلٌ – فِى جَانبِ مَا مَنَحَنَا ٱللَّهُ) ٱبْنُ مُعَد بْنُ عَدْنَانَ وَإِلَيْهِ ٱنْتَهَى عِقْدُ ٱلنَّسَبِ ٱلشَّرِيفِ شَرْعًا وَمَا تَعَدَّاهُ . وَفِى ٱلْحَدِيثِ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّهُ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ كَانَ إِذَا ٱنْتَسَبَ لَمْ يُجَاوِزْ مُعَدْ بِنِ عدْنَانَ، وَصَاحِبَ مُسْنَدِ ٱلْفِرْدَوْسِ رَوَاهُ .

وَيَنْتَهِي نَسَبُهُ ٱلشَّرِيفُ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ إِلَى سَـيِّدِنَا إِسْـمَاعِيلَ ٱلذَّبِيحُ حَقًّا، وَغَيْرَ هَذَا ٱلقَوْلُ لاَ نرْضَاهُ .

عِقْـدُ مَجْـدٍ وَسُـؤْدُدٍ وَفَخَـارٍ ... كَوْكَبُ ٱلْعِقْدِ حَضْـرَةُ ٱلْمُخْتَـارِ

كَانَ نُورًا فِـي وَجْـهِ آدَمَ بَـدْءًا ... ثُـمَّ مِنْـهُ لِلسَّـادَةِ ٱلأَخْيَـارِ

مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَـى يَـوْمِ عِيسَـى ... وهْوَ شَـمْسٌ وَمَصْـدَرُ ٱلأَنْـوَارِ

مِنْ نَبِـيٍّ إِلَـى رَسُـولٍ كَـرِيمٍ ... أَوْ وَفِيٍّ مِـنْ صَـفْوَةِ ٱلأَطْهَـارِ

شَمْسُهُ قَدْ تَلُوحُ فِي كُـلِّ عَصْـرٍ ... مِـن لَـدُنْ آدَمَ إِلَـى ٱلأَطْهَـارِ

أَشْرَقْتَ سَـيِّدِي بِغَيْـرِ غُـرُوبٍ ... نُورَ كَشْفٍ أَوْ نُورَهَا ٱلإِسْـفَارِي

مِـنْ أَبٍ مَاجِـدٍ لِجَـدٍّ كَـرِيمٍ ... أَصْلُكَ ٱلنُّورُ مِـنْ عَلِـيٍّ بَـارِي

يَا ضِـيَاءً أَشْـرَقَتْ بَـدْءً مُشِـيرًا ... لِلْجَمَالِ ٱلعَلِـيِّ نُـورُكَ سَـارِي

نَظْرَةَ ٱلْوُدِّ يَـا حَبِيبِـي لِمُضْـنًى ... بِالْكِرَامِ ٱلأَجْـدَادِ أَهْـلِ ٱلْفَخَـارِ

أَنْتَ شَمْسٌ لِلرُّسْلِ مِنْـكَ تَحَلُّـوا ... بِالأَيَادِي فِي مُحْكَـمِ ٱلأَسْـفَارِي

مِنْكَ نَالُوا فَخَـارَهُمْ بَـا حَبِيبِـي ... أَسْعِدِ ٱلصَّبَّ بِـالطَّهُورِ ٱلْمَـدَارِ

****

الفصل الثانى

بَدْءُ نُبُوَّتِهِ

ثَبَتَتْ نُبُوَّتُهُ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ قَبْلَ خَلْقِ جَمِيعِ ٱلبَرِيَّةِ، لأَنَّهُ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ مُرَادُ ذَاتِ ٱللَّهِ ٱلْعَلِيَّةِ، فَكَانَ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ أَوَّلُ مَخْلُوقٍ وَخَاتَمَ ٱلرُّسُلِ بِحِكْمَةٍ وَمَزِيَّةٍ، لأَنَّ أَوَّلَ ٱلإِرَادَةِ آخِرِ ٱلْعَمَلِ وَأَنْوَارُهُ بَدْءًا وَخَتْمًا جَلِيَّةٌ، وَآيَاتُ ٱللَّهِ تَعَالَى أَكْمَلُ بُرْهَانٍ، تَطْمَئِنُّ بِهِ قُلُوبُ أَهْلِ ٱلإِيمَانِ، قَالَ تَعَالَى مُبَيِّنًا قَدْرَهُ ٱلْعَظِيمُ فِي مُحْكَمِ ٱلْقُرْآنِ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُـمَّ جَـاءكُمْ رَسُـولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (١) .

كَانَ ٱلْمِيثَاقُ كَشْفًا وَعِيَانًا، وَقَالَ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ جَوَابًا لِمَيْسَرَةَ ٱلضَّبِّيِّ لِيَتَبَيَّنَ كُلَّ ٱلْبَيَانِ، قُلْتُ : (يَا رَسُولَ ٱللَّهِ مَتَى كُنْتَ نَبِيًّا ؟) قَالَ : (وَآدَمُ بَيْنَ ٱلرُّوحِ وَٱلْجِسَدِ) يَعْنِي أَنَّهُ نَبِيٌّ وَلاَ آدَمَ بِإِيقَانٍ، وَقَالَ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾: ﴿ إِنِّي عِنْدَ ٱللَّهِ لَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لِمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ ﴾، إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ مُرَادُ ٱلرَّحْمَنِ . وَٱلآثَارُ ٱلدَّالَّةُ عَلَى شَرَفِهِ بِالنُّبُوَّةِ بَدْءًا لَيْسَ حَصْرُهَا فِي ٱلإِمْكَانِ .

---

(١) آل عمران : ٨١ .

وَهنا أتكلم مع أهل التسليم من كل مؤمن كريم :

إِنَّ ٱللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ ٱلأَشْيَاءَ بِحِكْمَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ، وَأَرَادَ سُبْحَانَهُ إِبْرَازَهَا بِقُدْرَتِهِ وَتَقْدِيرِهِ، فَخَلَقَ فَرْدًا وَاحِدًا مُرَادًا لِحَضْرَتِهِ، وَصَاغَهُ مِنْ نُورِ حَنَانَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَخَلَقَ لِحَبِيبِهِ وَمِنهُ مِنْ سِوَاهُ وَمَا سِوَاهُ مِنْ بَرِيَّتِهِ، وَجَمَّلَهُ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ بِجَمَالِ مَحَابِّهِ وَمَرَاضِيهِ، لِيَكُونَ دُرَّةَ هَذَا ٱلْعِقْدِ ٱلثَّمِينَةِ ٱلْمُشِيرَةِ إِلَى مَعَالِيهِ، قَالَ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ : قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى : ﴿إِنِّي خَلَقْتُ مُحَمَّدًا لِذَاتِي وَخَلَقْتُ آدَمَ لِمُحَمَّدٍ وَخَلَقْتُ كُلَّ شَيءٍ لِبَنِي آدَمَ، فَمَنْ شَغَلَهُ مَا خَلَقْتُ لَهُ أَبْعَدْتُهُ عَنِّي﴾.

فَهُوَ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ وَلِيُّ أُولِي ٱلْعزْمِ مِنَ ٱلرُّسْلِ وَرَسُولُ ٱلأُمِّيِّينَ ٱلْمُمِدُّ بِرَوْحانِيَّتِهِ بَنصِّ ٱلْمِيثَاقِ أَرْوَاحَ ٱلرُّسُلِ وَٱلنَّبِيِّينَ، وَإِنْ خَالَفَنَا مَنْ لاَ يَرَى إِثْبَاتَ ٱلنُّبُوَّةِ قَبْلَ ٱلْخَلْقِ، فَإِنَّ ذَلِكَ تَشْرِيفٌ لِقَدْرِهِ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ مِنَ ٱلْحَقِّ، وَٱلْحَقَائِقِ مُنْكَشِفَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى قَبْلَ ٱلْمَكَانِ، وَمَنْ ذَاقَ حَلاَوَةَ ٱلْمِيثَاقِ وَعَهْدَ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ يَتَحَمَّلُ بِمَقَامِ ٱلتَّسْلِيمِ وَٱلإِحْسَانِ .

ثَبَتَتْ نُبُوَّتُهُ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ قَبْلَ أَنْ تَشْرُقَ شَمْسُهُ فِي ٱلآفَاقِ، بِمُحْكَمِ آيَاتِ ٱلْكُتُبِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ . بِالْبَشَائِرِ مِنَ ٱلْمُنْعِمِ ٱلرَّزَّاقِ، وَبِمَا أَظْهَرَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى مِنَ ٱلْكَرَامَاتِ قَبْلَ وِلاَدَتِهِ وَبَعْثَتِهِ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ جَلِيًّا لِلْعِيَانِ، فَقَدْ خَمَدَتْ نَارُ فَارِسَ وَغَاضَتْ بُحَيْرَةُ طَبَرِّيَةَ وَفَاضَتْ بُحَيْرَةُ سَاوَةَ حَتَّى عَمَّتِ ٱلأَرْكَانِ، وَتَوَالَتْ ٱلْبَشَائِرِ فَنَطَقَتِ ٱلْحَيَوَانَاتُ وَتَنَكَّسَتِ ٱلأَوْثَانِ، وَرَدَّ ٱللَّهُ أَبْرَهَةَ بِفِيلِهِ بِرَجْمِ أَبَابِيلَ فَبَاءَ بِالْحِرْمَانِ، فَهُوَ رَحْمَةُ ٱللَّهِ ٱلْعَامَّةُ لِجَمِيعِ ٱلأَنَامِ، مِنْ لَدُنْ بَدْئِهِ إِلَى ٱلْخِتَامِ، وَقَدْ وَصَفَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى بِالرَّؤُوفِ ٱلرَّحِيمِ فِي صَرِيحِ ٱلْفُرْقَانِ، وَجَعَلَهُ سُبْحَانَهُ فَارِقًا بَيْنَ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ بِمَا أَوْلاَهُ مِنَ ٱلْقُوَّةِ وَٱلتِّبْيَانِ .

الفصل الثالث

فى حمله عليه الصلاة والسلام

أَظْهَرَ ٱللَّهُ نُورَ نَبِيِّهِ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ يَتَلأْلأُ فِى وَجْهِ وَالِـدِهِ مَشْهُودًا، وَكَانَ عبْدُ ٱللَّهِ لِوَالِدِهِ بَرًّا وَدُودًا، وَخَيْرَ إِخْوَتِـهِ حِلْمًـا وَجُـودًا، وَأَعَفَّهُمْ بُعْدًا عَنِ ٱلْغَزْلِ وَصُدُودًا .

تَعَرَّضَتْ لَهُ فَتَاةٌ جَمِيلَةٌ غَنِيَّةٌ كَامِلَةُ ٱلنَّسَبِ وَٱلْعَقْلِ قُرَشِيَّةٌ وَطَلَبَتْهُ عَلَـى أَنْ تُعْطِيهِ مَالاً كَثِيرًا، وَتَمنَحُهُ إِنْ أَطَاعَهَا خَيْرًا وَفِيرًا، فَأَبَى إِبَاءَ مَنْ عَصَمَهُ ٱللَّـهُ، وَجَعَلَهُ كَنْزًا لِحَبِيبِهِ وَمصْطَفَاهُ، وَتَمَثَّلَ قَائِلاً :

أَمَّـا ٱلْحَـرَامُ فَالْمَمَـاتُ دُونَـهُ وَٱلْحِـلُّ لاَ حِـلٌّ فَأَسْـتَبِينَهْ
فَكَيْـفَ بِـالأَمْرِ ٱلَّـذِى تَبْغِينَـهُ يَحْمِى ٱلكَـرِيمُ عِرْضَـهُ وَدِينَـهْ

تِلْكَ عِنَايَةُ ٱللَّهِ بِفَرْدِ ذَاتِهِ ٱلْمَحْبُوبِ، وَهُوَ فِى كَنْزِ ٱلْغُيُوبِ .

هَذَا وَقَدْ مَنَحَ ٱللَّهُ ٱلعِنَايَةِ لِعَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ بِوَلَدِهِ عَبْدُ ٱللَّهِ، صَوْنًا لِسيِّدِ رُسُـلِهِ ٱلْكِرَامِ وَإِظْهَارًا لِعُلاَهُ فَاخْتَارَ لَهُ جَوْهَرَةَ كَنْزِ ٱلْمَجْدِ وَٱلشَّرَفِ، آمِنَةَ ٱبْنَةَ وَهْبِ مَصْدَرَ ٱلْجُودِ وَٱلتُّحَفِ . فَتَزَوَّجَهَا لِيُظْهِرَ ٱللَّهُ مَكْنُونَ أَسْرَارِهِ، وَدَخَـلَ بِهَـا لِيُشْرِقَ ٱللَّهُ مِنْهَا شَمْسَ أَنْوَارِهِ . فَكَانَتْ أُفْقَ هَذَا ٱلْكَوْكَبِ ٱلْمُضِىءِ لِعَـالِينَ، وَصَدَفَةَ دُرَّةِ عِقْدِ ٱلْمُرْسَلِينَ، وَقَدْ بَشَّرَ ٱللَّهُ ٱلْمَلاَئِكَةِ بِآدَمَ وَهُوَ هَيْكَـلٌ مِـنْ طِينٍ، فَكَيْفَ تَكُونُ ٱلبَشَائِرِ بِحَبِيبِ ٱللَّهِ وَمُصْطَفَاهُ ٱلصَّادِقِ ٱلأَمِينِ، فَتَوَالَـتِ ٱلْبُشرَى مِنْ عَالَمِ عَالِينَ، وَسَرَتْ فِى مَلَكُوتِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ .

ثُمَّ تَوَالَتْ تِلْكَ ٱلْبَشَائِرُ إِلَى كُلِّ كَائِنٍ فِى ٱلأَرْضِ بِآيَاتٍ جَلِيَّةٍ، فَبَشَّرَتْ بِهِ ٱلْحَيَوَانَاتُ فِى ٱلْقِفَارِ بِعِبَارَاتٍ عَرَبِيَّةٍ، وَكَيْفَ لاَ وَهُوَ مُرَادُ ذَاتِ ٱللَّهِ وَٱلْمَخصُوصُ بِالسَّابِقِيَّةِ، ظَهَرَتِ ٱلآيَاتِ فِى ٱلسَّمَوَاتِ وَفِى ٱلأَرْضِ لِمَنْ دَرَسُوا ٱلْكُتُبَ ٱلسَّمَاوِيَّةَ، وَتَوَالَتِ ٱلْهَوَاتِفِ عَلَى ٱلْكُهَّانِ بِقُرْبِ إِشْرَاقِ شَمْسِ خَيْرِ ٱلْبَرِيَّةِ .

وَٱنْتَشَرَتِ ٱلأَفْرَاحِ فِى ٱلْجَنَّاتِ، وَعَمَّتْ فِى عَالَمِ ٱلْمَلَكُوتِ ٱلْمَسَرَّاتُ، حُبُورًا بِحَمْلِ آمِنَةَ بِمَنْ لأَجْلِهِ خُلِقَتِ ٱلْكَائِنَاتِ، وَهَطَلَتِ ٱلسَّمَاءُ بِغَيْثِ ٱلإِغَاثَةِ رَحْمَةً مِنَ ٱللَّهِ بِمَنْ أَضْرَّهُمْ ٱلْجَدْبُ، وَفَرَّحَهُمْ سبْحَانَهُ بِفَضْلِهِ بَعْدَ ٱلشِّدَّةِ وَٱلْكَرْبِ . وَبَارَكَ ٱللَّهُ لِعِبَادِهِ بِبَرَكَةِ ٱلْحَمْلِ بِهِ فِى ٱلزَّرْعِ، حَتَّى كَثُرَ ٱلْخَيْرُ وَدَرَّ ٱلضَّرَعُ . وَصَارَ ٱلْخَيْرُ يَتَوَالَى بِتَوَالِى أَيَّامِهِ ٱلْمَيْمُونَةِ، وَٱلْبَرَكَاتُ تُفَاضُ بِالْمَسَرَّاتِ مَقْرُونَةٌ .

وَهُنَا أُشَرِّفُ سَمْعَكَ بِمَا أَوْرَدَهُ ٱلإِمَامُ بْنُ جَرِيرٍ، مِنَ ٱلْحَدِيثِ ٱلشَّرِيفِ فِى مَوْلِدِ ٱلْبَشِيرِ ٱلنَّذِيرِ، قَالَ بِسَنَدِهِ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ : (بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ مِنْ بَنِى عَامِرٍ وَهُوَ مُدرَةُ قَوْمِهِ – يَعْنِى سَيِّدُهُمْ – يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَاهُ فَمَثُلَ بَيْنَ يَدَىِ ٱلنَّبِىِّ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ قَائِمًا، وَنَسَبَهُ إِلَى جَدِّهِ فَقَالَ : « يَا بْنَ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبْ إِنِّى أُنْبِئْتُ أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّاسِ، أَرْسَلَكَ بِمَا أَرْسَلَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَغَيْرَهُم مِنَ ٱلأَنْبِيَاءِ، أَلاَ وَإِنَّكَ فُوِّهْتَ بِعَظِيمٍ، وَإِنَّمَا كَانَتِ ٱلأَنْبِيَاءُ وَٱلْخُلَفَاءُ فِى بَيْتَيْنِ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ، وَأَنْتَ مِمَّنْ يَعْبُدُ هَذِهِ ٱلْحِجَارَةَ وَٱلأَوْثَانِ . فَمَا لَكَ وَٱلنُّبُوَّةِ ؟ وَلَكِنْ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةٌ، فَأَنْبِئْنِى بِحَقِيقَةِ قَوْلِكْ، وَبَدْءِ شَأْنِكْ »، قَالَ : فَأُعْجِبَ ٱلنَّبِىِّ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

وَسَلَّمَ ﴾ بمسْأَلَتِهِ . ثُمَّ قَالَ : « يَا أَخَا بَنِى عَامِرٍ، إِنَّ لِهَذَا ٱلْحَدِيثِ ٱلَّذِى تسْأَلُنِى عَنْهُ نَبَأً وَمَجْلِسًا، فَاجْلَسَ »، فَثَنَى رِجْلَيْهِ، ثُمَّ بَرَكَ كَمَا يَبْرُكُ ٱلْبَعِيرُ، فَاسْتَقْبَلَهُ ٱلنَّبِىُّ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ بِالْحَدِيثِ فَقَالَ : « يَا أَخَا بَنِى عَامِرٍ، إِنَّ حَقِيقَةَ قَوْلِى وَبَدْءَ شَأْنِى . أَنِّى دَعْوَةُ أَبِى إِبْرَاهِيمُ وَبُشْرَى أَخِى عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ، وَإِنِّى كُنْتُ بِكْرَ أُمِّى، وَأَنَّهَا حَمَلَتْ بِى فَلَمْ تَجِدْ لِى ثِقَلاً، وَلاَ وَحَمًا كَمَا تَجِدُ ٱلنِّسَاءُ، ثُمَّ إِنَّ أُمِّى رَأَتْ فِى ٱلْمَنَامِ أَنَّ ٱلَّذِى فِى بَطْنِهَا نُورٌ، قَالَتْ : فَجَعَلْتُ أَتْبَعَ بَصَرِى ٱلنُّورَ، وَٱلنُّورُ يَسْبِقُ بَصَرِى حَتَّى أَضَاءَتْ لِى مَشَارِقُ ٱلأَرضِ وَمَغَارِبُهَا . ثُمَّ أَنَّهَا وَلَدَتْنِى فَنَشَأْتُ فَلَمَّا نَشَأْتُ بُغِّضَتْ إِلَىَّ أَوْثَانُ قُرَيْشٍ، وَبُغِّضَ إِلَى ٱلشِّعْرُ .

وَكُنْتُ مُسْتَرْضِعًا فِى بَنِى سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَبَيَّنَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ مُنْتَبِذٍ مِنْ أَهْلِى فِى بطْنِ وَادٍ مَعَ أَتْرَابٍ لِى مِنَ ٱلصِّبْيَانِ نَتَقَاذَفُ بَيْنَنَا بِالْجُلَّةِ، إِذْ أَتَانَا رَهْطُ ثَلاَثَةٍ، مَعَهُمْ طَسْتٌ مِنْ ذَهَبٍ مَلِىءٌ ثَلْجًا، فَأَخَذُونِى مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِى، فَخَرَجَ أَصْحَابِى هِرَابًا حَتَّى ٱنتَهُوا إِلَى شَفِيرِ ٱلوَادِى، ثُمَّ أَقْبَلُوا عَلَى ٱلرَّهْطِ فَقَالُوا : مَا أَرَبُكُمْ إِلَى هَذَا ٱلْغُلاَمِ ؟ فَإِنَّهُ لَيْسُ مِنَّا، هَذَا ٱبْنُ سَيِّدِ قُرَيْشٍ، وَهُوَ مسْتَرْضِعٌ فِينَا مِنْ غُلاَمٍ يَتِيمٍ لَيْسَ لَهُ أَبٌ، فَمَاذَا يَرُدُّ عَلَيْكُمْ قَتْلَهُ، وَمَاذَا تُصِيبُونَ مِنْ ذَلِكَ ؟ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ لاَ بُدَّ قَاتِلِيهِ فَاخْتَارُوا مِنَّا أَيَّنَا شِئْتُمْ فَلْيَأْتِكُمْ مَكَانَهُ فَاقْتُلُوهُ، وَدَعُوا هَذَا ٱلْغُلاَمُ فَإِنَّهُ يَتِيمٌ، فَلَمَّا رَأَى ٱلصِّبْيَانُ ٱلْقَوْمَ لاَ يُجِيرُونَ إِلَيْهِمْ جَوَابًا، ٱنْطَلَقُوا هِرَابًا مُسْرِعِينَ إِلَى ٱلْحَىِّ يُؤذِنونَهُمْ وَيَسْتَصْرِخُونَهُمْ عَلَى ٱلْقَوْمِ .

فَعَمَدَ أَحَدَهُمْ فَأَضْجَعَنِى عَلَى ٱلأَرْضِ إِضْجَاعًا لَطِيفًا، ثُمَّ شَقَّ مَا بَيْنَ مَفْرِقِ صَدْرِى إِلَى مُنْتَهَى عَانَتِى، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ لَمْ أَجِدْ لِذَلِكَ مَسًّا، ثُمَّ أَخْرَجَ أَحْشَاءَ

بَطْنِى، ثُمَّ غَسَلَهَا بِذَلِكَ ٱلثَّلْجِ، فَأَنعَمَ غَسْلَهَا ثُمَّ أَعَادَهَا مَكَانَهَا، ثُمَّ قَامَ ٱلثَّانِى مِنْهُمْ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ : تَنَحَّ، فَنَحَّاهُ عَنِّى، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِى جَوْفِى فَأَخْرَجَ قَلْبِى وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَصَدَعَهُ ثُمَّ أَخرَجَ مِنْهُ مُضغَةً سَوْدَاءَ فَرَمَى بِهَا ثُمَّ مَالَ بِيَدِهِ يَمْنَةً مِنْهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فإِذَا أَنَا بِخَاتَمٍ فِى يَدِهِ مِنْ نُورٍ يُحَارُ ٱلنَّاظِرُونَ دُونَهُ، فَخَتَمَ بِهِ قَلْبِى فَامْتَلأَ نُورًا، وَذَلِكَ نُورُ ٱلنُّبُوَّةِ وَٱلْحِكْمَةِ ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ، " فَوَجَدْتُ بَرْدَ ذَلكِ ٱلْخَاتَمِ فِى قلْبِى دَهْرًا "، ثُمَّ قَالَ ٱلثَّالِثُ لِصَاحِبِهِ : تَنَحَّ فَنَحَّاهُ عَنِّى، فَأَمَرَ يَدَهُ مَا بَيْنَ مَفْرِقِ صَدْرِى إِلَى مُنتَهَى عَانَتِى، فَالتَأَمَ ذَلِكَ ٱلشِّقُّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِى فَأَنْهَضَنِى مِنْ مَكَانِى إِنْهَاضًا لَطِيفًا .

ثُمَّ قَالَ لِلأَوَّلِ ٱلَّذِى شَقَّ بَطْنِى زِنْهُ بِعَشْرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنُونِى بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنوني بهم فرجحتهم، ثُمَّ قَالَ : زِنْهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ فَوَزَنُونِى بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ فَقَالَ : دَعُوهُ فَلَوْ وَزِنْتُمُوهُ بِأُمَّتِهِ كُلِّهَا لَرَجَحَهُمْ، قَالَ : ثُمَّ ضَمُّونِى إِلَى صُدُورِهِمْ وَقَبَّلُوا رَأْسِى وَمَا بَيْنَ عَيْنَىَّ، ثُمَّ قَالُوا : " يَا حَبِيبُ لَمْ تَرُعْ " إِنَّكَ لَوْ تَدْرِى مَا يُرَادُ بِكَ مِنَ ٱلْخَيرِ لِقُرَّتْ عَيْنَاكَ" .

قَالَ : فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ أَنَا بِالْحَىِّ قَدْ جَاءُوا بِحَذَافِيرِهِمْ، وَإِذَا أُمِّى وَهْىَ ظِئْرِى أَمَامَ ٱلْحَىِّ تَهتِفُ بِأَعلَى صَوْتِهَا وَتَقُولُ : يَا ضَعِيفَاهُ !! قَالَ : فَانْكَبُّوا عَلَىَّ فَقَبَّلُوا رَأْسِى وَمَا بَيْنَ عَيْنَىَّ فَقَالُوا : حَبَّذَا أَنْتَ مِنْ ضعِيفٍ، ثُمَّ قَالَتْ ظِئْرِى : يَا وَحِيدَاه !! فَانْكَبُّوا عَلَىَّ فَضَمُّونِى إِلَى صُدُورِهِمْ وَقَبَّلُوا رَأْسِى وَمَا بَيْنَ عَيْنَىَّ ثُمَّ قَالُوا : حَبَّذَا أَنْتَ مِنْ وَحِيدٍ وَمَا أَنْتَ بِوَحِيدٍ، إِنَّ ٱللَّهَ مَعَكَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ ٱلأَرْضِ، ثُمَّ قَالَتْ ظِئْرِى : " يَا يَتِيمَاهُ !! ٱسْتُضْعِفْتَ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِكَ فَقُتِلْتَ لِضَعْفِكَ " فَانْكَبُّوا عَلَىَّ فَضَمُّونِى إِلَى

صُدُورِهِمْ وَقَبَّلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيَّ وَقَالُوا حَبَّذَا أَنْتَ مِنْ يَتِيمٍ، " مَا أَكْرَمَكَ عَلَى ٱللَّهِ "، لَوْ تَعْلَمُ مَاذَا يُرَادُ بِكَ مِنَ ٱلْخَيْرِ، قَالَ : فَوَصَلُوا بِي إِلَى شَفِيرِ ٱلْوَادِي .

فَلَمَّا بَصُرَتْ بِي أُمِّي وَهِيَ ظِئْرِي قَالَتْ : يَا بُنَيَّ أَلاَ أَرَاكَ حَيًّا بَعْدُ !! فَجَاءَتْ حَتَّى ٱنْكَبَّتْ عَلَيَّ وَضَمَّتْنِي إِلَى صدْرِهَا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَفِي حِجْرِهَا وَقَدْ ضَمَّتْنِي إِلَيْهَا وَإِنَّ يَدِي فِي يَدِ بَعْضِهِمْ، فَجَعَلَتْ أَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ وَظَنَنْتُ أَنَّ ٱلْقَوْمَ يَبْصُرُونَهُمْ فَإِذَا هُمْ لاَ يُبْصِرُونَهُمْ .

يَقُولُ بَعْضُ ٱلقَوْمِ : إِنَّ هَذَا ٱلْغُلاَمُ قَدْ أَصَابَهُ لَمَمٌ أَوْ طَائِفٌ مِنَ ٱلْجِنِّ، فَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَى كَاهِنًا حَتَّى يَنْظُرَ إِلَيْهِ وَيُدَاوِيهِ، فَقُلْتُ : يَا هَذَا مَا بِي شَيْءٌ مِمَّا تَذْكُرُ، إِنَّ آرَائِي سَلِيمَةٌ وَفُؤَادِي صَحِيح، فَقَالَ أَبِي وَهُوَ زَوْجُ ظِئْرِي : أَلاَ تَرَوْنَ كَلاَمَهُ كَلاَمًا صَحِيحًا إِنِّي لأَرْجُو أَنْ لاَ يَكُونَ بِابْنِي بَأْسٌ، فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَذْهَبُوا بِي إِلَى ٱلْكَاهِنِ، فَاحْتَمَلُونِي حَتَّى ذَهَبُوا بِي إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَصُّوا عَلَيْهِ قِصَّتِي قَالَ : ٱسْكُتُوا حَتَّى أَسْمَعَ مِنَ ٱلْغُلاَمِ فَإِنَّه أَعْلَمُ بِأَمْرِهِ مِنْكُمْ .

فَسَأَلَنِي فَاقْتَصَصْتُ عَلَيْهِ أَمْرِي مَا بَيْنَ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ، فَلَمَّا سَمِعَ قَوْلِي وَثَبَ إِلَيَّ فَضَمَّنِي إِلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا لَلْعَرَبِ يَا لَلْعَرَبِ !! ٱقْتُلُوا هَذَا ٱلْغُلاَمَ وَٱقْتُلُونِي مَعَهُ ؛ فَوَاللاَّتِ وَٱلْعُزَّى لَئِنْ تَرَكْتُمُوهُ وَأَدْرَكَ، لَيُبَدِّلَنْ دِينَكُمْ، وَلَيُسَفِّهَنْ عُقُولَكُمْ وَعُقُولَ آبَائِكُمْ، وَلَيُخَالِفَنْ أَمْرَكُمْ، وَلَيَأْتِيَنَّكُمْ بِدِينٍ لَمْ تَسْمَعُوا بِمِثْلِهِ قَطْ .

فَعَمَدَتْ ظِئْرِي فَانْتَزَعَتْنِي مِنْ حِجْرِهِ وَقَالَتْ : لأَنْتَ أَعْتَهُ وَأَجَنُّ مِنْ ٱبْنِي هَذَا ؛ فَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا يَكُونُ مِنْ قَوْلِكَ مَا أَتَيْتُكَ بِهِ، فَاطْلُبْ لِنَفْسِكَ مَنْ

يَقْتُلُكَ، فَأَنَا غَيْرَ قَاتِلِي هَذَا ٱلْغُلاَمُ، ثُمَّ ٱحْتَمَلُونِي فَأَدُّونِي إِلَى أَهْلِي، فَأَصْبَحْتُ مُفْزَعًا مِمَّا فُعِلَ بِي، وَأَصْبَحَ أَثَرُ ٱلشَّقِّ مَا بَيْنَ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانَتِي كَأَنَّهُ ٱلشِّرَاكُ . فذَلِكَ حَقِيقَةُ قَوْلِي وَبَدْءُ شَأْنِي يَا أَخَا بَنِي عَامِرٍ .

فَقَالَ: ٱلْعَامِرِيُّ أَشْهَدُ بِاللَّهِ ٱلَّذِي لاَ إِلَهَ غَيرَهُ إِنَّ أَمْرَكَ حَقٌّ، فَأَنْبِئْنِي بِأَشيَاءَ أَسْأَلُكَ عَنهَا، قَالَ : سَلْ عَنْكَ ؟ - وَكَانَ ٱلنَّبِيُّ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ قَبْلَ ذَلِكَ يَقُولُ لِلسَّائِلِ : سَلْ عَمَّا شِئْتَ وَعَمَّا بَدَا لَكَ، فَقَالَ لِلْعَامِرِيِّ يَوْمَئِذٍ سَلْ عَنْكَ، لأَنَّهَا لُغَةُ بَنِي عَامِرٍ فَكَلَّمَهُ بِمَا عَلِمَ -، فَقَالَ لَهُ ٱلْعَامِرِيُّ : أَخْبِرْنِي يَا ٱبْنَ عَبْدَ ٱلْمُطَّلِبِ : مَا يَزِيدُ فِي ٱلْعِلْمِ ؟ قَالَ : ٱلتَّعَلُّمَ . قَالَ : أَخْبِرْنِي : مَا يَدُلُّ عَلَى ٱلْعِلْمِ ؟ قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾: ٱلسُّؤَالُ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي مَاذَا يَزِيدُ فِي ٱلشَّرِّ ؟ قَالَ : ٱلتَّمَادِي . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي : هَلْ يَنْفَعُ ٱلْبِرَّ بَعْدَ ٱلْفُجُورِ ؟ قَالَ : نَعَمْ " ٱلتَّوْبَةُ تَغْسِلُ ٱلْحَوْبَةَ " وَٱلْحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّئَاتِ، وَإِذَا ذَكَرَ ٱلْعَبْدُ رَبَّهُ عِنْدَ ٱلرَّخَاءِ، أَغَاثَهُ عِنْدَ ٱلْبَلاَءِ، " قَالَ ٱلْعَامِرِيُّ : وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا ٱبْنَ عَبْدِ ٱللَّهِ ؟ قَالَ : ذَلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يَقُولُ : لاَ وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي، لاَ أَجْمَعُ لِعَبدِي أَمْنَيْنِ، وَلاَ أَجْمَعُ لَهُ أَبَدًا خَوْفَيْنِ، إِنْ هُوَ خَافَنِي فِي ٱلدُّنْيَا، أَمِنَنِي يوْمَ أَجْمَعُ فِيهِ عِبَادِي عِنْدِي فِي حَظِيرَةِ ٱلْقُدْسِ، فَيَدُومُ لَهُ أَمْنُهُ وَلاَ أَمْحَقُهُ فِيمَنْ أَمْحَقُ، وَإِنْ هُوَ أَمِنَنِي فِي ٱلدُّنْيَا، خَافَنِي يَوْمَ أَجْمَعُ فِيهِ عِبَادِي لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعلُومٍ، فَيَدُومُ لَهُ خَوْفُهُ، قَالَ : يَا ٱبْنَ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ، أَخْبِرْنِي إِلَى مَا تَدْعُو ؟ قَالَ : أَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ ٱللَّهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ تَخْلَعُ ٱلأَنْدَادَ وَتَكْفُرُ بِاللاَّتِ وَٱلْعُزَّى، وَتُقِرَّ بِمَا جَاءَ مِنَ ٱللَّهِ مِنْ كِتَابٍ أَوْ رَسُولٍ، وَتُصَلِّي ٱلصَّلَوَاتِ ٱلْخَمْسِ بِحَقَائِقِهِنَّ وَتَصُومُ شَهْرًا مِنَ ٱلسَّنَةِ، وَتُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِكَ يُطَهِّرُكَ ٱللَّهُ بِهَا وَيَطِيبُ لَكَ مَالَكَ، وَتَحُجَّ ٱلْبَيْتَ

إِذَا وَجَدْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً، وَتَغْتَسِلُ مِنَ ٱلْجَنَابَةِ، وَتُؤْمِنَ بِالْمَوْتِ وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ، وَبِالْجَنَّةِ وَٱلنَّارِ .

قَالَ : يَا ٱبنَ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ : فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَمَا لِى ؟ قَالَ ٱلنَّبِىُّ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ : (جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى) . قَالَ يَا ٱبنَ عَبْدَ ٱلْمُطَّلِبِ : " هَلْ مَعَ هَذَا مِنَ ٱلدُّنْيَا شَىءٌ ؟ فَإِنَّهُ يَعْجِبُنِى ٱلْوَطْأَةُ مِنَ ٱلعَيْشِ !! قَالَ ٱلنَّبِىُّ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ : نَعَمَ ٱلنَّصْرُ وَٱلتَّمَكُّنُ فِى ٱلْبِلاَدِ، قَالَ : فَأَجَابَ وَأَنَابَ.

وَقَدْ أَخْبَرَتِ ٱلْجَوْهَرَةُ ٱلْمَصُونَةُ آمِنَةُ ٱلزَّهْرِيَّةُ، بِالْبَشَائِرِ ٱلَّتِى كَانَتْ تَتَوَالَى عَلَيْهَا بِحَمْلِ خَيْرِ ٱلبَرِيَّةِ . وَهِىَ رِضَىَ ٱللَّهُ عَنْهَا مِنْ أَهْلِ ٱلْفَتْرَةِ ٱلنَّاجِيَاتِ، إِلاَّ أَنَّهُ ثَبَتَ إِسْلاَمُهَا بِمَا ثَبَتَ مِنْ أَخْبَارِ ٱلنَّبَوِيَّاتِ .

قَالَتْ : إِنِّى أُوتِيتُ حِينَ حَمَلْتُ بِهِ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ : فَقِيلَ لِى : إِنَّكَ قَدْ حَمَلْتُ بِسَيِّدِ هَذِهِ ٱلأُمَّةِ، وَقَالَتْ مَا شَعُرْتُ بِأَنِّى حَمَلْتُ بِهِ وَلاَ وَجَدْتُ لَهُ ثِقَلاً، وَلاَ وَحَمًا كَمَا تَجِدُ ٱلنِّسَاءُ، إِلاَّ أَنِّى أَنْكَرْتُ رَفْعَ حَيْضَتِى، وَآتَانِى آتٍ وَأَنَا بَيْنَ ٱلنَّائِمَةِ وَٱلْيَقَظَةِ، فَقَالَ : هَلْ شَعَرْتِ بِأَنَّكِ حَمَلْتِ سَيِّدَ ٱلأَنَامِ ؟ ثُمَّ أَمْهَلَنِى، حَتَّى إِذَا دَنَتْ وِلاَدَتِى، أَتَانِى فَقَالَ : قُولِى : أُعِيذُهُ بِالْوَاحِدِ، مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ، ثُمَّ سَمِّيهِ مُحَمَّدًا .

أتكلم مع أهل اليقين :

إِنَّ ٱللَّهَ تَقَدَّسَتْ ذَاتِهِ، ٱقْتَضَتْ أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ . أَنْ يَتَجَلَّى ظَاهِرًا بِالتَّنْزِيهِ، عَلِيًّا مُقَدَّسًا عَنِ ٱلتَّشْبِيهِ . فَصَاغَ مِنْ نُورِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ ٱلَّتِى ٱقْتَضَى كَمَالَهَا

ٱلظُّهُورَ، ٱلْحَقِيقَةَ ٱلْمَصْطَفَوِيَّةَ ٱلَّتِي هِيَ نُورُ ٱلنُّورِ . فَكَانَتْ سِدْرَةُ غَشَيَانِ جَمَالِهِ ٱلْعَلِيِّ، مُوَاجَهَةً أَحَاطَهَا بِضِيَائِهِ ٱلْجَلِيِّ . كَانَتْ جَوْهَرَةُ ٱلْحَضْرَةِ ٱلأَحْمَدِيَّةِ مَخْصُوصَةً بِالأَزَلِيَّةِ، يَنْظُرُ ٱللَّهُ إِلَيْهَا نَظَرَ تَفْرِيدٍ لِتِلْكَ ٱلدُّرَّةِ ٱلنُّورَانِيَّةِ . وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّ زَمَانٌ وَلاَ مَكَانٌ، وَلاَ أَفْلاَكٌ وَلاَ أَكْوَانٌ . فَهُوَ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ سِدْرَةَ مُنْتَهَى عُلُومِ ٱلْخَلاَئِقِ، وَمِنْهُ تَصْدُرُ ٱلْعَوَارِفُ وَٱلرَّقَائِقُ . ثُمَّ تَنَقَّلَ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ مِنْ عَالَمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلْبُطُونِ، إِلَى عَالَمِ ٱلظُّهُورِ وَٱلشُّئُونِ، وَأُولُوا ٱلْعَزْمِ عَنْهُ نُوَّابٌ مُبَيِّنُونَ لِنُورِهِ، حَتَّى أَشْرَقَت شَمْسُ ذَاتِهِ ٱلْمحَمَّدِيَّةِ تُنِيرُ ٱلْعَالَمِينَ بِضِيَاءِ عُلُومِهِ، فَهُوَ ٱلأَبُ ٱلأَكْبَرُ لِكُلِّ مَظْهَرٍ وَظُهُورٍ مِنْ تِلْكَ ٱلْحَقَائِقِ، وَهُوَ ٱلأَوَّلُ بَدْءًا ٱلْمُمِدُّ بِرُوحِهِ ٱلنُّورَانِيَّةِ كُلَّ سَابِقٍ:

أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ قُبَيْلَ ٱلتَّجَلِّى ... سِدْرَةٌ وُوجِهَتْ مِنَ ٱلْمُتَجَلِّى
كُنْتُ يَا سَيِّدِى وَلَمْ يَكُ عَرْشٌ ... فَوْقَ مَاءٍ تُضِيءُ نُورُكَ أَصْلِى
لِلْعَلِيِّ ٱلعَظِيمِ كُنْتَ مُرَادًا ... فَرْدُ رَبِّى، وَنُورُ وَجْهِكَ مَجلَى
نظْرَةً يَا ضِيَاءَ قَلْبِى بِوُدٍّ ... أَحْيِنِى سَيِّدِى أَدِمْ لِى وَصْلِى
فِى حِمَى طَيْبَةٍ أَعِيشُ مُهَنَّى ... فِى صَفَاءِ ٱلْوِصَالِ مِنْ غَيْرِ فَصلِ

قِفْ يَا لِسَانَ ٱلتَّعْبِيرِ، فَكَمَالاَتُ هَذَا ٱلدُّرِّيِّ ٱلْمُنِيرُ، ٱلْمَمْنُوحَةُ مِنَ ٱلْمُعْطِى ٱلْوَهَّابُ فَوْقَ قُوَّةِ ٱلتَّصْوِيرِ . إِنَّمَا أُبَيِّنُ عَلَى قَدْرِى، إِذَا شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرِى . وَمَاذَا أَقُولُ فِيمَنْ جَعَلَهُ ٱللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَوَاثَقَ لَهُ فِى ٱلْبَدْءِ جَمِيعَ ٱلْمُرْسَلِينَ، وَوَصفَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالرَّءُوفِ ٱلرَّحِيمِ، وَأَقْسَمَ بِهِ فِى كِتَابِهِ ٱلْكَرِيمِ . وَأَقَامَهُ مَقَامَ نَفْسِهِ ٱلْعَلِيَّةِ، فِى ٱلْبَيْعَةِ ٱلْكُبْرَى ٱلرِّضْوَانِيَّةِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ

: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ [1] وَقَالَ تَعَالَى :

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [2]، فَطُوبَى لِمَنْ فَقِهَ ٱلْخِطَابَ وَوَعَاهُ .

عَلَى قدْرِى أَصُوغُ لَكَ ٱلْمَدِيحَا ... وَمَدْحُكَ صَاغَهُ رَبِّى صَرِيحًا

وَمَنْ أَنَا يَا إِمَامَ ٱلرُّسْلِ حَتَّى ... أُوَفِّى قَدرَكَ ٱلسَّامِى شُرُوحَا

وَلَكِنِّى أُحِبُّكَ مِلْءَ قَلْبِى ... فَأَسْعَدُ بِالْوِصَالِ فَتًى جَرِيحَا

وَدَاوِ بِالْوِصَالِ فَتًى مُعَنًّى ... وَأَنْتَ رَأَيْتَهُ كَشْفًا صَحِيحًا

فَمُوسَى رُدَّ بَعْدَ سُؤَالِ رَبِّى ... يَرُومُ ٱلْقُرْبَ مِنْكَ لِيَسْتَرِيحَا

أَلَمْ نَشْرَحْ، وَرَبِّ ٱشْرَحْ ، بَيَانٌ ... لِقَدْرِكَ سَيِّدِى أَضْحَى مُبِيحًا

---

(١) الفتح : ١٠ .

(٢) النساء : ٨٠ .

الباب الثانى
فى الميلاد والرضاع

الفصل الأول

مولده الشريف ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾

أَظْهَرَ ٱللَّهُ تَعَالَى فِى زَمَانِ حمْلِهِ وَوِلاَدَتِهِ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ عَجَائِبَ ٱلشُّئُونِ، حَتَّى ٱنْكَشَفَ لِلْعَالَمِ أَجْمَعَ سِرُّ ٱلْغَيْبِ ٱلْمَصُونِ، وَغَيْبُ مَا فِى ٱلْكَنْزِ ٱلْمَكْنُونِ . حَتَّى تَجَلَتْ تِلْكَ ٱلأَسْرَارُ لأَهْلِ ٱلأَدْيَانِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ، بِمَا لَدَيْهِمْ مِنَ ٱلأَنْبَاءِ ٱلرَّبَّانِيَّةِ . وَٱنْكَشَفَ لِلْكُهَّانِ بِتَغَيُّرِ ٱلأَفْلاَكِ فِى ٱلظُّهُورِ وَٱلدَّوَرَانِ، حَتَّى تَحَقَّقُوا قُرْبَ ظُهُورِهِ بِسَاطِعِ ٱلْبُرْهَانِ . وَٱنْتَشَرَ بَيْنَ عَالَمِ ٱلْمُلْكِ وَٱلْمَلَكُوتِ قُرْبَ إِشْرَاقِ شَمْسِ ٱلْحَقِّ بِالتَّحْقِيقِ وَٱلثُّبُوتِ ؛ لأَنَّ ٱلْكَوْنَ عَالِيهِ وَدَانِيهِ، جِسْمٌ وَهُوَ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ ٱلرُّوحُ ٱلَّتِى ظَهَرَتْ فِيهِ . سَرَتْ تِلْكَ ٱلرُّوحُ فِى هَيَاكِلِ ٱلْمَلاَئِكَةِ ٱلْحَامِلِينَ لِعَرْشِ ٱلرَّحْمَنِ، فسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَٱسْتَغْفَرُوا لأَهْلِ ٱلإِيمَانِ . سَرَتْ فِى ٱلْمَلاَئِكَةِ عُمَّارِ مَلَكُوتِ ٱللَّهِ، فَأَقَامَهُمُ ٱللَّهُ أَنْصَارًا لَهُ سُبْحَانَهُ وَقُوَّةً لِمَنْ وَالاَهُ .

أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ بِأَنْوَارِهَا عَلَى أَفْلاَكِ ٱلسَّمَوَاتِ، وَسَطَعَتْ أَنْوَارُ ٱلْكَوَاكِبِ عَلَى مَنْ جَمَّلَهُمْ ٱللَّهُ بِالتَّوْحِيدِ وَجَذَبَهُمْ إِلَيْهِ بِالْقُرُوبَاتِ . سَرَتْ تِلْكَ ٱلرُّوحُ فِيمَنْ عَلَى ٱلأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنَ ٱلْكَائِنَاتِ بِأَنْوَارِ ٱلْهُدَى وَٱلرَّحْمَةِ . فَتَحَقَّقُوا بِالْيَقِينِ ٱلْحَقِّ وَفَازُوا بِالْقَبُولِ وَٱلنِّعْمَةِ فَمَا مِنْ كَائِنٍ فِى مُلْكِ ٱللَّهِ وَمَلَكُوتِهِ مِنَ

ٱلعَالَمِينَ، إلاَّ وَسَعِدَ بِهَذَا ٱلْكَوْكَبِ ٱلدُّرِّيِّ فِى ٱلْخَافِقِينَ . وَكَيْفَ لاَ تَتَوَالَى ٱلبَشَائِرُ وَٱلأَفْرَاحُ بِطَلْعَةِ حَبِيبِ ٱلْمُنْعِمِ ٱلْفَتَّاحِ .

وَلَمَّا أَنْ أَرَادَ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَتَجَلَّى بِالرَّحِيمِ ٱلرَّحْمَنِ، وَأَنْ يَظْهَرَ جَلِيًّا سُبْحَانَهُ بِالْمُنْعِمِ ٱلْحَنَّانِ ٱلْمَنَّانِ . أَكْمَلَ سُبحَانَهُ أَيَّامَ حَمْلَهُ حَتَّى آنَ لِلْعَالَمِ أَجْمَعَ أَنْ يَفُوزَ بِأَمَلِهِ . وَكَانَتْ أُمُّهُ ٱلطَّاهِرَةُ ٱلصَّفِيَّة، لاَ تُحِسُّ بِأَلَمِ ٱلْحَمْلِ وَلاَ تَشْعُرُ بِقُرْبِ ٱلْوَضْعِ بِخِلاَفِ ٱلْعَادَةِ ٱلْمَرْعِيَّةِ، حَتَّى حَانَ أَنْ تُشْرِقَ تِلْكَ ٱلشَّمْسُ جَلِيَّةً، وَتَشْهَدَ لِلْعُقُولِ وَٱلأَجْسَامِ عَلِيَّةً، شَعُرَتْ قَبْلَ طُلُوعِ فَجْرِ لَيلَةِ ٱلإِثْنَيْنِ ثَانِيَةَ عَشْرَةَ رَبِيعٍ ٱلأَوَّلِ عَلَى أَرْجَحِ ٱلأَقوَالِ ٱلْمَرْوِيَّةِ . وَهِىَ مُنْفَرِدَةٌ كَعَادَتِهَا، لَيْسَ مَعَهَا مَنْ يُعِينَهَا فِى حُجْرَتِهَا . إلاَّ أنَ مَا تَوَالَى عَلَيْهَا مِنَ ٱلْبَشَائِرِ وَٱلْهَوَاتِفِ وَٱلرُّؤْيَا ٱلْمَنَامِيَّةِ، جَعَلَهَا مُنْشَرِحَةَ ٱلصَّدْرَ بِمَعُونَةِ رَبِّ ٱلبَرِيَّةِ.

وَبَيْنَمَا هِىَ بَيْنَ وَحْشَةِ ٱلْوِحْدَةِ وَٱلأَلَمِ، وَٱلأُنْسِ بِمَا شَهِدَتْهُ إِذْ رُفِعَ لَهَا عَلَمٌ عَمَّ ٱلْخَافِقَيْنِ ضِيَاؤُهُ، وَأَدْهَشَ عَقْلَهَا بَهَاؤُهُ . وَإِذَا بِطُيُورٍ سَدَّتْ ٱلأَفَاقَ، تُرفْرِفُ بِأَجْنَحَتِهَا مُسَبِّحَةً لِلْخَلاَّقِ . فَنَظَرَتْ فَرَأَتْ نِسْوَةً أَحَطْنَ بِهَا مِنْ كُلِّ جَانِب، فَظَنَّتَهُنَّ مِنَ ٱلْجِيرَانِ وَٱلأَقَارِبِ . وَقُلْنَ لَهَا نَحْنُ آسِيَةُ وَمَرْيَمُ اِبْنَةَ عُمْرَانَ، وَمَعَنَا ٱلْحُورِ ٱلْعِينُ لِلتَّحِيَّةِ وَٱلإِكْرَامِ .

وَمَعَ هَذَا ٱلتَّثْبِيتِ ٱلرُّوحَانِىِّ قَالَتْ آمِنَةُ – مِنْ حَدِيثِ ٱبْنِ عَبَّاسَ : (لَمَّا أَنْ أَخَذَنِى مَا يَأْخُذُ ٱلنِّسَاءَ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِى أَحَدٌ لاَ ذَكَرٌ وَلاَ أُنْثَى، وَإِنِّى لِوَحِيدَةٌ فِى ٱلْمَنْزِلِ، وَعَبْدُ ٱلْمُطَّلِبِ فِى طَوَافِهِ، فَسَمِعتْ وَجْبَةٌ عَظِيمَةٌ وَأَمْرًا عَظِيمًا أَهَالَنِى، ثُمَّ رَأَيْتُ كَأَنَّ طَائِرًا أَبْيَضَ قَدْ مَسَحَ عَلَى فُؤَادِى فَذَهَبَ عَنِّى ٱلرُّعْبُ وَكُلُّ وَجَعٍ أَجِدُهُ، ثُمَّ ٱلْتَفَتُّ فَإِذَا أَنَا بِشَرْبَةٍ بَيْضَاءَ فَتَنَاوَلْتُهَا فَأَصَابَنِى نُورٌ عَالٍ، ثُمَّ أُرِيتُ نِسْوَةً كَالنِّخْلِ طِوَالاً، كَأَنَّهُنَّ مِنْ بَنَاتِ مَنَافٍ يُحْدِقْنَ بِى، فَبَيْنَا أَنَا أَتَعَجَّبُ وَأَنَا أَقُولُ : وَاغَوْثَاهُ مِنْ أَيْنَ عِلِمْنَ، وَٱشْتَدَّ بِى ٱلأَمْرُ وَأَنَا أَسْمَعُ

ٱلْوَجْبَةَ فِى كُلِّ سَاعَةٍ أَعْظَمُ وَأَهْوَلُ مِمَّا تَقَدَّمَ .

فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ، إِذَا بِدِيبَاجٍ أَبْيَضَ قَدْ سَدَّ بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلأَرْضِ، وَإِذَا قَائِلٌ يَقُولُ : خُذَاهُ عَنْ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ، قَالَتْ وَرَأَيْتُ رِجَالاً قَدْ وَقَفُوا فِى ٱلْهَوَاءِ بِأَيْدِيهِمْ أَبَارِيقُ مِنْ فِضَّةٍ، ثُمَّ نَظَرْتُ، فَإِذَا بِقَطْفَةٍ مِنَ ٱلطَّيْرِ قَدْ أَقْبَلَتْ حَتَّى غَطَّتْ حُجْرَتِى، مَنَاقِيرِهَا مِنَ ٱلزُّمُرُّدِ، وَأَجْنِحَتُهَا مِنَ ٱلْيَاقُوتِ، فَكَشَفَ ٱللَّهُ عَنْ بَصَرِى، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَ ٱلأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَرَأَيْتُ ثَلاَثَةَ أَعْلاَمٍ مَضْرُوبَاتٍ ؛ عِلْمًا بِالْمَشْرِقِ وَعَلَمًا بِالْمَغْرِبِ وَعَلَمًا عَلَى ظَهْرِ ٱلْكَعْبَةِ، فَأَخَذَنِى ٱلْمَخَاضُ فَوَضَعْتُ مُحَمَّدًا ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ .

وَهُنَا أَحَبَّ ٱلأَئِمَّةُ ٱلْقِيَامَ تَعْظِيمًا لِقَدْرِه ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ :

مَرْحَبًا بِالْحَبِيبِ خَيْرِ ٱلأَنَامِ ... مِنْ أَتَانَا بِالنُّورِ وَٱلإِسْلاَمِ
مَرْحَبًا سَيِّدِى وَأَهْلاً وَسَهْلاً ... أَنْتَ نُورُ ٱلرَّحْمَنِ وَٱلْعَلاَّمِ
مَرْحَبًا بِالْحَبِيبِ أَقْبَلْتَ بُشْرَى ... بِالْمَعَالِى وَنَيْلِ دَارِ ٱلسَّلاَمِ
جِئْتُ يَا سَيِّدِى مَحَوْتَ ضَلاَلاً ... بِالضِّيَاءِ ٱلْعَلِىِّ بَعْدَ ٱلظَّلاَمِ
أَنْتَ خَيْرٌ لَنَا مِنَ ٱلرُّوحِ حَقًّا ... مِنْكَ نِلْنَا بِالْفَضْلِ أَعْلَى مَقَامِ
أَشْرَقَتْ شَمْسُكَ ٱلْعَلِيَّةُ صُبْحًا ... فِى رَبِيعٍ بِالْخَيْرِ وَٱلإِكْرَامِ
نُورَهَا يَجْذِبُ ٱلْقُلُوبَ وَيَهْدِى ... قَدْ شَرِبْنَا بِهِ طَهُورَ ٱلْمُدَامِ
قَدْ سَعِدْنَا وَقَدْ شَهِدْنَا جَمَالاً ... فِى رَبِيعٍ بَدَا لَنَا فِى ٱبْتِسَامِ
أَبْشِرِى أُمَّةَ ٱلنَّبِىِّ بِخَيْرٍ ... فَهْوَ حَقًّا شَفِيعَنَا فِى ٱلزِّحَامِ
كُلُّ رُوحٍ تَرَى جَمَالَ حَبِيبِى ... لَيْلَةَ ٱلْوَضْعِ لاَ بِرُؤْيَا ٱلْمَنَامِ
مَوْلِدُ ٱلْمُصْطَفَى لِرُوحِى ذِكْرَى ... شَاهَدَتْهُ فِيهِ بِغَيْرِ لِثَامِ
مَوْلِدُ ٱلْمُصْطَفَى حَيَاةُ قُلُوبٍ ... شَوْقُهَا قَدْ نَمَا بِدَاعِى ٱلْغَرَامِ

صَلِّ رَبِّى عَلَى ٱلْحَبِيبِ ٱلتِّهَامِى مَنْ تَرَاهُ أَرواحُنَا فِى ٱلْهَيَامِ

وَهُنَا يَحْسُنُ أَنْ نَبْتَهِلَ إِلَى ٱللَّهِ تَعَالَى مُتَوَسِّلِينَ، بِجَاهِهِ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ دَاعِينَ قَائِلِينَ : (ٱللَّهُمَّ إِنَّكَ تَفَضَّلْتَ عَلَيْنَا بِأَنْ جَعَلْتَنَا أُمَّةَ حَبِيبِكَ وَمُصْطَفَاكَ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾، وَأَثْنَيْتَ عَلَيْنَا فِى ٱلْقُرْآنِ ٱلْمَجِيدِ بِقَوْلِكَ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [1] وَقَوْلِكَ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ ﴾ فَنَبْتَهِلُ إِلَيْكَ يَا قَرِيبُ يَا مُجِيبُ، أَنْ تُعِينَنَا عَلَى شُكْرِ نِعْمَتِكَ ٱلْعُظْمَى ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾، بِتَوْفِيقِنَا لِمَحَابِّكَ وَمَرَاضِيكَ، وَإِقَامَتِنَا لَكَ مَقَامَ ٱلْعُمَّالِ ٱلْمُخْلِصِينَ، وَٱلأَنصَارَ لِدِينِكَ ٱلْمَقْبُولِينَ، وَهَبْ لَنَا قُوَّةً فِى دِينِنَا، وَتَمْكِينًا بِالْحَقِّ، وَمَكِّنْ لَنَا فِى ٱلأَرْضِ وَٱحْفَظْنَا مِنَ ٱلْفِتَنِ ٱلْمُضِلَّةِ، وَجَدِّدِ بِنَا هَذَا ٱلنُّورُ ٱلْمُحَمَّدِى، وَٱشْفِنَا وَٱبسطْ لَنَا أَرْزَاقَنَا وَنَجِّنَا يَا إِلَهَنَا فِى ٱلدُّنيَا مِنْ كُلِّ هَوْلٍ وَكَرْبٍ، وفِى ٱلآخِرَةِ مِنْ هوْلِ ٱلْحِسَابِ، لِنَكُونَ مِنَ ٱلسَّابِقِينَ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمُ ٱلْحُسْنَى يَا رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ) .

قَالَتْ آمِنَةُ : (ثُمَّ نَظَرَتْ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ سَاجِدٌ، ثُمَّ رَأَيْتُ سَحَابَةً بَيْضَاءَ، أَقْبَلَتْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ حَتَّى غَشِيَتْهُ فَغَيَّبَتْهُ عَنِّى، فَسَمِعْتُ مُنَادِيًا يُنَادِى طُوفُوا بِهِ مَشَارِقَ ٱلأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَأَدْخِلُوهُ ٱلبِحَارَ، لِيَعْرِفُوهُ بِاسْمِهِ وَنَعْتِهِ وَصُورَتِهِ، وَيَعْلَمُوا أَنَّهُ سُمِّىَ فِيهَا ٱلْمَاحِى، وَلاَ يَبْقَى شَىءٌ مِنَ ٱلشَّرِّ إِلاَّ مُحِىَ فِى زَمَنِهِ ثُمَّ

---

(١) آل عمران : ١١٠ .

تَجَلَّتْ عَنْهُ فِى أَسْرَعِ وَقْتٍ . . . ٱلْحَدِيثُ) .

وَبِسَنَدِ ٱلْخَطِيبِ ٱلْبُغْدَادِى قَالَ قَالَتْ آمِنَةُ :

(لَمَّا وَضَعْتُهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلاَمُ، رَأَيْتُ سَحَابَةً عَظِيمَةً لَهَا نُورٌ، أَسْمَعُ فِيهَا صَهِيلُ ٱلْخَيْلِ، وَخَفَقَانِ ٱلأَجْنِحَةِ، وَكَلاَمُ ٱلرِّجَالِ حَتَّى غَشِيَتْهُ وَغُيِّبَ عَنِّى فَسَمِعْتُ مُنَادِيًا يُنَادِى«طُوفُوا بِمُحَمّدٍ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ جَمِيعَ ٱلأَرْضِ،وَٱعْرِضُوهُ عَلَى كُلِّ رُوحَانِىٍّ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنْسِ وَٱلْمَلاَئِكَةِ وَٱلطُّيُورِ وَٱلْوُحُوشِ، وَأَعْطُوهُ خَلْقِ آدَمَ، وَمَعْرِفَةَ شِيثٍ، وَشَجَاعَةُ نُوحٍ، وَخُلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، وَلِسَانَ إِسْمَاعِيلَ، وَرِضَا إِسْحَاقَ، وَفَصَاحَةَ صَالِحٍ، وَحِكْمَةَ لُوطٍ، وَبُشْرَى يَعْقُوبٍ، وَشِدَّةَ مُوسَى، وَصَبْرُ أَيُّوبَ، وَطَاعَةَ يُونُسَ، وَجِهَادَ يُوشَعَ، وَصَوْتَ دَاوُدَ، وَحُبَّ دَانْيَالَ، وَوَقَارَ إِلْيَاسَ، وَعِصْمَتَ يَحْيَى، وَزُهْدَ عِيسَى، وَٱغْمَسُوهُ فِى أَخْلاَقِ ٱلنَّبِيِّينَ » قَالَ : ثُمَّ ٱنْجَلَتْ عَنِّى فَإِذَا بِهِ قَدْ قَبَضَ عَلَى حَرِيرَةٍ خَضْرَاءَ مَطْوِيَّةٌ طَيًّا شَدِيدًا يَنْبُعُ مِنْ تِلْكَ ٱلْحَرِيرَةِ مَاءٌ . وَإِذَا قَائِلٌ يَقُولُ : « بَخٍ بَخٍ !! قَبَضَ مُحَمَّدٍ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ عَلَى ٱلدُّنْيَا كُلِّهَا لَمْ يَبْقَ خَلْقٌ مِنْ أَهْلِهَا إِلاَّ دَخَلَ طَائِعًا فِى قَبْضَتِهِ » قَالَتْ : ثُمَّ نَظَرَتْ فَإِذَا بِهِ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ، وَرِيحُهُ يَسْطَعُ كَالْمِسْكِ ٱلأَذْفَرِ وإِذَا بِثَلاَثَةِ نَفَرٍ فِى يَدِ أَحَدِهِمْ إِبْرِيقَ مِنْ فِضَّةٍ، وَفِى يَدِ ٱلثَّانِى طَسْتٌ مِنْ زُمُرُّدٍ أَخْضَرَ وَفِى يَدِ ٱلثَّالِثِ حَرِيرَةٍ بَيْضَاء، فَنَشَرَهَا فَأَخْرَجَ مِنْهَا خَاتَمًا تَحَارُ أَبْصَارُ ٱلنَّاظِرِينَ دُونَهُ، فَغَسَلَهُ مِنْ ذَلِكَ ٱلإِبْرِيقَ سَبْعِ مَرَّاتٍ، ثُمَّ خَتَمَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ بِالْخَاتَمَ، وَلَفَّهُ فِى ٱلْحَرِيرَةِ،ثُمَّ ٱحْتَمَلَهُ فَأَدْخَلَهُ بَيْنَ أَجْنِحَتِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَدَّهُ إِلَىَّ.

الفصل الثانى

الرضاع

مَعْلُومٌ أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ . هُوَ ٱلرَّحْمَةِ ٱلعَامَّةُ لِلْعَالِمِينَ، مِنْ إِنْسٍ وَمِنْ جِنٍّ وَمَلاَئِكَةٍ إِلَى أَعْلَى عِلِّيِّينَ . فَهُوَ عَيْنُ ٱلرَّحْمَةِ ٱلْمُفَاضَةِ مِنْ حَضْرَةِ ٱلإِحْسَانِ، ٱلَّتِى وَسِعَ ٱللَّهِ بِهَا كُلَّ شَىءٍ بِالْفضْلِ وَٱلْحَنَانِ . سَعِدَ وَٱللَّهِ مِنْ مَسَّ جسْمِهِ ٱلشَّرِيفِ أَوْ رَآهُ بِمَعْنَاهُ، أَوْ أَحَبَّهُ وَفَرِحَ بِهِ وَوَلاَهْ.

فَسَعِدتْ وَٱللَّهِ حلِيمَةُ ٱلسَّعْدِيَّةُ، وَكَيْفَ لاَ وَقَدْ أَرْضَعَتْ خَيرَ ٱلْبَرِيَّةِ، وَخُفِّفَ ٱلْعَذَابُ عَنْ أَبِى لَهَبٍ لَيْلَةَ ٱلإِثْنَيْنِ لأَنَّهُ أَعْتَقَ ثُوَيْبَةَ مَوْلاَتُهُ عِنْدَمَا بَشَّرَتْهُ بِمَوْلِدِهِ ٱلشَّرِيفِ فَنَمَتْ مَسَرَّاتُهُ، أَرْضَعَتْهُ ثُوَيْبَةُ بَعْدَ وَضْعِهِ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾، وَشَهِدَتْ مَا عَجَزَتْ عَنْ بَيَانِهِ فَبُشْرَى لَهَا سَعِدَتْ مِنَ ٱللَّهِ بِحَنَانِهِ .

وَأَرْضَعَتْهُ حَلِيمَةَ ٱلسَّعْدِيَّةُ بَعْدَ أَنْ أَبَاهُ ٱلنِّسَاءُ لِيُتْمِهِ، فَفَازَتْ مِنَ ٱللَّهِ تَعَالَى بِبِرِّهِ وَكَرِمِهِ .

قَالَتْ حَلِيمَةَ :

(قَدِمْتُ مَكَّةَ فِى نِسْوَةٍ مِنْ بنِى سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، نَلْتَمِسُ ٱلرُّضَعَاءُ فِى سَنَةٍ شَهْبَاءَ فَقَدِمْتُ عَلَى أَتَانٍ لِى وَمَعِىَ صَبِىٌّ لَنَا وَشَارِفٌ لَنَا، وَٱللَّهِ مَا تَبِضُّ بِقَطْرَةٍ وَمَا نَنَامُ لَيْلَنَا، ذَلِكَ أَجْمَعُ مَعَ صَبِيِّنَا ذَاكَ، لاَ يَجِدُ فِى ثَدْيِى مَا يُغْنِيهِ، وَلاَ فِى شَارِفِنَا مَا يُغْذِيهِ، فَقَدِمْنَا مَكَّةَ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ مِنَّا ٱمْرَأَةً إِلاَّ وَقَدْ عَرَضَ عَلَيْهَا رَسُولُ ٱللَّهِ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ فَتَأْبَاهُ إِذَا قِيلَ يَتِيمٌ، فَوَاللَّهِ مَا بَقِىَ مِنْ صَوَاحِبِى ٱمْرَأَةٌ إِلاَّ أَخَذَتْ رَضِيعًا غَيْرِى، فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ، قُلْتُ لِزَوْجِى

: وَٱللَّهِ إِنِّى لأَكْرَهَ أَنْ أَرْجَعَ مِنْ بيْنِ صوَاحِبِى لَيْسَ مَعِىَ رَضِيعٌ، لأَنْطَلِقَنَّ إِلَى ذَلِكَ ٱلْيَتِيمِ فَلآخُذَنَّهُ، فَذَهَبْتُ فَإِذَا بِهِ مُدْرَجٌ فِى ثَوْبِ صُوفٍ أَبْيَضَ مِنَ ٱللَّبَنِ، يَفُوحُ مِنْهُ ٱلمِسْكُ، وَتَحْتَهُ حَرِيرَةٌ خَضْرَاءُ، رَاقِدًا عَلَى قَفَاهُ يَغُطُّ، فَأَشْفَقْتُ أَنْ أُوقِظَهُ مِنْ نَوْمِهِ لِحُسْنِهِ وَجَمَالِهِ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ رُوَيْدًا، فَوَضَعْتُ يَدِى عَلَى صَدْرِهِ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا، وَفَتَّحَ عَيْنَيْهِ لِيَنْظُرَ إِلَىَّ، فَخَرَجَ مِنْ عَيْنَيْهِ نُورٌ حَتَّى دَخَلَ خِلاَلَ ٱلسَّمَاءِ، وَأَنَا أَنْظُرُ، فَقَبَّلْتُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَأَعْطَيْتُهُ ثَدْيِى ٱلأَيْمَنَ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنٍ، فَحَوَّلْتُهُ إِلَى ٱلأَيْسَرِ فَأَبَى، وَكَانَتْ تِلْكَ حَالَهُ بَعْدُ – قَالَ أَهْلُ ٱلْعِلْمِ : أَعْلَمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى أَنَّ لَهُ شَرِيكًا فَأَلْهَمَهُ ٱلْعَدْلَ – قَالَتْ فَرُوِىَ وَرُوِىَ أَخُوهُ ثُمَّ أَخْذْتُهُ، فَمَا هُوَ إِلاَّ أَنْ جِئْتُ بِهِ رحْلِى، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ثَدْيَاىَ بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنٍ، فَشَرِبَ حَتَّى رُوِىَ، وَشَرِبَ أَخُوهُ حَتَّى رُوِىَ فَقَامَ صَاحِبِى – تَعْنِى زَوْجَهَا – إِلَى شَارِفِنَا تِلْكَ، فَإِذَا إِنَّهَا لِحَافِلٌ فَحَلَبَ مَا شَرِبَ وَشَرِبْتُ حَتَّى رُوِينَا، وَبِتْنَا بِخَيْرِ لَيْلَة .

فَقَالَ صَاحِبِى : يَا حَلِيمَةَ، وَٱللَّهِ إِنِّى لأَرَاكَ قَدْ أَخَذْتِ نَسْمَةً مُبَارَكَةً، أَلَمْ تَرَىْ مَا بِتْنَا بِهِ ٱللَّيْلَةَ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَٱلْبَرَكَةِ . حِينَ أَخَذْنَاهُ فَلَم يَزَلْ ٱللَّهُ يَزِدْنَا خَيْرًا ؟ قَالَتْ حَلِيمَةُ : فَوَدَّعَتِ ٱلنِّسَاءَ بَعْضَهُنَّ بَعْضًا وَوَدَّعَتْ أَنَا أُمَّ ٱلنَّبِىِّ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾، ثُمَّ رَكِبْتُ أَتَانِى، وَأَخَذْتُ مُحَمَّدًا ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ بَيْنَ يَدَىَّ، قَالَتْ : فَنَظَرْتُ إِلَى ٱلأَتَانِ، وَقَدْ سَجَدَتْ نَحْوَ ٱلْكَعْبَةِ ثَلاَثَ سَجَدَاتٍ، وَرَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى ٱلسَّمَاءِ، ثُمَّ مَشَتْ حَتَّى سَبَقَتْ دَوَابَّ ٱلنَّاسِ ٱلَّذِينَ كَانُوا مَعِى، وَصَارَ ٱلنَّاسِ يَتَعَجَّبُونَ مِنِّى وَٱلنِّسَاءَ يَقُلْنَ لِى وَهُنَّ وَرَائِى : يَا بِنْتَ أَبِى ذُؤَيْب : أَهَذِهِ أَتَانُكِ ٱلَّتِى كُنْتُ عَلَيْهَا وَأَنْتَ جَائِيَةٌ مَعَنَا، تَخْفِضكَ طَوْرًا وَتَرْفَعُكِ أُخْرَى ؟ فَأَقُولُ : تَاللَّهِ إِنَّهَا هِىَ !! فَيَتَعَجَّبْنَ

مِنْهَا وَيَقُلْنَ : إِنَّ لَهَا لِشَأْنًا عَظِيمًا !!

قَالَتْ فَكُنْتُ أَسْمَعُ أَتَانِي تَنْطِقُ وَتَقُولُ : وَٱللَّهِ إِنَّ لِي لِشَأْنًا ثُمَّ شَأْنًا، بَعَثَنِي ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِي، وَرَدَّ لِي سِمَنِي بَعْدَ هُزَالِي، وَيْحَكُنَّ يَانِسَاءَ بَنِي سَعْدٍ، إِنَّكُنَّ لَفِي غَفْلَةٍ !! وَهَلْ تَدْرِينَ مِنْ عَلَى ظَهْرِي ؟!عَلَى ظَهْرِي خِيَارَ ٱلنَّبِيِّينَ، وَسَيِّدُ ٱلْمُرْسَلِينَ، وَخَيْرُ الأَوَلِينَ ٱلآخِرِينَ، وَحَبِيبُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ .

قَالَتْ حَلِيمَةُ : فِيمَا ذَكَرَهُ ٱبْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرِهِ : ثُمَّ قَدِمْنَا مَنَازِلَ بَنِي سَعْدٍ، وَلاَ أَعْلَمُ أَرْضًا مِنْ أَرضِ ٱللَّهِ أَجْدِبُ مِنْهَا، فَكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ عَلَى حِينَ قَدِمْنَا بِهِ شِبَاعًا لِبَنًا، فَنَحْلُبُ وَنَشْرَبُ، وَمَا يَحْلُبُ إِنْسَانٌ قَطْرَةَ لَبَنٍ وَلاَيَجِدُهَا فِي ضَرْعٍ، حَتَّى كَانَ ٱلْحَاضِرَ مِنْ قَوْمِنَا يَقُولُونَ لِرُعَاتِهِمْ : ٱسْرَحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي غَنَمَ بِنْتِ أَبِي ذُؤَيْبٍ، فَتَرُوحُ أَغْنَامَهُمْ جِيَاعًا مَا تَبِضُّ بِقَطْرَةِ لَبَنٍ، وَتَرُوحُ أَغْنَامِي شِبَاعًا لَبَنًا .

وَفِي بَيَانِ هَذِهِ ٱلْمَعَانِي يَقُولُ رضى الله عنه وأرضاه :

وَفِي رَبِيعٍ لَنَا بِالْخَيْرِ وَٱلْبُشْرَى ... فِيهِ لَقَدْ أَشْرَقَتْ شَمْسُ ٱلْهُدَى ٱلْكُبْرَى

فِيهِ لَقَدْ زُلِّفَ ٱلْمُخْتَارُ وَٱنْتَصَحَتْ ... لَهُ ٱلْهُدَى وَٱلتَّهَانِي فِيهِ قَدْ نَثَرَا

قَدْ زُيِّنَتْ لِلْمَلاَئِكِ ٱلسَّمَا وَزَلَتْ ... ٱلنُّورُ يُشْرِقُ دَوْمًا لَيْلَةَ ٱلذِّكْرَى

وَٱلْبَيْتُ ظَلَّلَ بِالأَمْلاَكِ يَقْدِمُهُمْ ... نُورٌ مِنَ ٱللَّهِ مَنْ بِحَبِيبِهِ أَمْسَى

أَرِنْتَ شَمْسًا تُضِيءُ ٱلْكَوْنَ أَجْمَعَهُ ... حَتَّى رَأَتْ أُمُّهُ مِنْ نُورِهِ بِمَسَى

حَتَّتْ عَلَى رَأْسِهَا ٱلأَصْنَامُ خَاسِئَةً ... بَلْ أُحْمِلَتْ نَارَ إِبْلاَلٍ لَدَى كِسْرَا

وَٱلْجِنُّ قَدْ نَحَرُوا بِالرَّجْمِ وَٱنْحَرُوا ... لَمْ يَسْمَعُوا أَبَدًا شِعْرًا وَلاَ نَثْرَا

غَطَّتْ بُحَيْرَةُ طَبَرِيَّا بِمَهْدِهِ ... فَاضَتْ بُحَيْرَةُ سَلْوَى ٱلْمَاءُ ثُمَّ جَرَى

عَنْ أَعْيُنِ ٱلْخَلْقِ فِي ٱلْمَلَكُوتِ غَيَّبَهُ ... جِبْرِيلُ لَمَّا بِهِ لِلْعَالَمِينَ سَمَى

أَوْمَا إِلَى ٱلْقُدْسِ لِلْأَعْلَى بِأَصْبُعِهِ ... رَمْزٌ إِلَى أَنَّهُ فَضْلًا سَمَا قَدْرَا

قَدْ جَمَّلَ ٱلْمُلْكَ وَٱلْمَلَكُوتَ مَوْلِدُهُ ... فَضْلُ ٱلسَّعَادَةِ فِي ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأُخْرَى

فِي بَيْتِ آمِنَةَ ٱلْعَصْمَاءَ يَحْلُمُهَا ... حُورُ ٱلْجِنَانِ وَإِلْهَامًا وَلَا فَخْرَا

بِنْ مَرْيَمٍ بِنْتَ عِمْرَانٍ وَلَمْ يَكُنِ ... قَدْ يَحْلُمُ ٱلْفَضْلُ لِلْعَذْرَا

فَارَتْ حَلِيمَةُ بِالْمِسْكِ بِطَلْعَتِهِ ... فَلَّ ٱلرَّضَاعَ لَقَدْ ذَابَتْ ضَنًى فَقْرَا

تَأْبَاهُ يَتْمًا لَهُ لَمْ تَدْرِ قِيمَتُهُ ... حَتَّى لَقَدْ شَهِلَتْ آيَاتُهُ ثَرَى

دَرَّتْ شَبِيهَةُ فَتَاةُ ٱلْحَيِّ وَٱتَّسَعَتْ ... أَزْقَاؤُهَا نَالَتِ ٱلْخَيْرَاتِ وَٱلْيُسْرَا

حَتَّى لَقَدْ حَمَلَتْ مِنْ قَوْمِهَا فَمَتَى ... حَتَّى مَحَا ٱلْمُصْطَفَى عَنْ ظَهْرِهِ ٱلْعُسْرَا

وَيْ يَا حَلِيمَةُ !! تِلْكَ ٱلْخَيْرُ أَجْمَعُهُ ... أَصْبَحْتِ لِلْمُصْطَفَى ٱلْهَادِي نَعَمْ ظِئْرَا

وَٱلْبَدْرُ ثُمَّ لَهُ وَٱلشَّمْسُ خَاطِبَةٌ ... وَٱلْمَاءُ يَجْرِي بِكَفِّ ٱلْمُصْطَفَى نَهْرَا

وَٱلْجِذْعُ حَنَّ لَهُ كَيْمَا يُلَامِسَهُ ... وَٱلْعَيْنُ رُئِيَتْ وَفَضْلُ ٱللَّهِ قَدْ أَحْيَى

وَٱلرَّمْلُ مَسَّحَ يَبْتَاعُ بِأَنَّ لَهُ ... قَدْرًا عَظِيمًا بِهَا ٱلْفَضْلِ لَا يُدْنَى

ظُلَّ ٱلسَّحَابِ وَتَسْلِيمُ ٱلنَّبَاتِ نَمَى ... بِهَدْيِ بِهِ ٱللَّهُ مَنْ قَدْ يَسْمَعُ ٱلذِّكْرَا

فِي كُلِّ مِنْبَرٍ مِنَ ٱلْأَسْفَارِ آيَتُهُ ... تُتْلَى مِنَ ٱلْأَنْبِيَا وَلَنَا لَقَدْ قَرَّا

قَدْ أَحْصَتْ آيَةُ ٱلْأَلْبَابِ كَثْرَتَهَا ... لَمْ تُحْصَ عَنَّا وَتِلْكَ ٱلْآيُ تُسْتَقْرَى

لَا تَعْجَبُوا فَهُوَ خَيْرُ ٱلرُّسْلِ قَاطِبَةً ... وَهُوَ ٱلشَّفِيعُ وَفَضْلُ ٱللَّهِ وَٱلْبُشْرَى

الباب الثالث

فضله ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ على موسى وسائر الرسل الكرام

الفصل الأول

فضله ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ على موسى عليه السلام

يَعْجَزُ ٱلْعَقْلُ عَنِ ٱلْحَيْطَةِ بِقَدْرِهِ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ وَعَنْ حَصْرِ مَزَايَاهُ . وَيَقِفُ لِسَانُ ٱلْعِبَارَةِ عَنْ أَنْ يَقْتَدِرُ عَلَى بَيَانِ مَا خَصَّهُ بِهِ ٱللَّهُ . بَلْ وَقَدْ تَقِفُ عَنْ تَوْضِيحِ هَذَا ٱلْغَيْبِ ٱلإِشَارَةُ، فَكَيْفَ تُوَضَّحُهُ ٱلْعِبَارَةُ .

مَقَامُكَ فَوْقَ قَدْرِ ٱلرُّسْلِ طُرًّا رُفِعْتَ عَلَيْهِمُوا مَوْلاَىَ قَدْرًا
وَأَنْتَ وَلِيُّهُمْ بَدْءًا وَخَتْمًا وَأَنْتَ إِمَامُهُمْ سِرًّا وَجَهْرَا
وَمِنْ نُورِ ٱلْعِنَايَةِ صِغْتُ بَدْءًا تُضِيءُ وَكُنْتُ فِي ٱلْمَلَكُوتِ بَدرَا

أَكْتِبُ عَلَى قَدْرِ مَا فَهِمْتُ مِنَ ٱلآيَاتِ ٱلْقُرْآنِيَّةِ، وَمَا ذُقْتُ مِنَ ٱلأَخبَارِ وَٱلأَحَادِيثِ ٱلنَّبَوِيَّةِ . وَلَكِنْ لأَهْلِ ٱلتَّسْلِيمِ وَٱلذَّوْقِ، مِمَّنْ جَذَبُوا إِلَى ٱللَّهِ بِجَوَاذِبِ ٱلشَّوْقِ . وَهُنَا تَحَلَّوْا لِلسَّامِعِينَ ٱلْعِبَارَةُ، قَبْلَ أَنْ يُدَارُ رَاحُ ٱلإِشَارَةِ .

رَسُولُ ٱللَّهِ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ مَحْبُوبُ ٱللَّهِ وَمُصطَفَاهُ، وَسَيِّدُنَا مُوسَى كَلِيمُ ٱللَّهِ وَمُجْتَبَاهُ .

قَالَ مُوسَى عليه السلام : ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ [1]. سَائِلاً مَوْلاَهُ،

---

(١) طه : ٢٥ .

وَقَالَ لِمَحْبُوبِهِ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ ﴾ [1] شَرَفًا لِقَدْرِهِ وَعُلاَهُ .

– وَقَالَ مُوسَى عليه السلام : ﴿ واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي﴾ [2] لِيُعِينَهُ عَلَى مَا يُحِبَّهُ ٱللَّهُ، وَقَالَ سُبحَانَهُ لِمَحْبُوبِهِ مُحَمَّد ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ ﴾ [3] تِبْيَانًا لأَنَّهُ تَوَلاَّهُ، فَقَرَنَهُ سُبْحَانَهُ بِهِ فِى ٱلشَّهَادَةِ وَٱلآذَانِ . فَلَمْ يُوَازِرَهُ بِغَيْرِهِ مِنْ بنى ٱلإِنْسَانِ، وَٱلْوَزِيرُ فِى ٱللُّغَةِ ٱلْقرِينُ وَٱلظَّهِيرُ مِنَ ٱلأَهْلِ وَٱلْحَبِيب، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : أَنْتَ مِنْ أَهْلِى فَقَدْ وَزَرْتُكَ وَقَرَنْتُكَ بِذِكْرِى وَبِكَ إِلَى ٱلتَقْرِيب، فَأَنَا ظَهِيرُكَ وَمُعِينُكَ لاَ أَشُدُّ أَزْرَكَ بِغَيْرِى مِنْ مُعِينٍ ومُنِيبٍ .

– وَعَنِ ٱلإِمَامِ ٱللَّيْثِ عَنْ مُجَاهِدٍ فِى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً ﴾ [4]، قَالَ : يُقْعِدُهُ عَلَى ٱلْعَرْشِ تعظِيمًا لَهُ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ وَتَفْرِيدًا، فَكَانَ ٱلْعَرْشِ مَكَانَ ٱستِوَاءِ ٱلرُّبُوبِيَّةِ بِمَشِيئِتِهِ فِى ٱلدُّنْيَا، وَهُوَ مستَغْنٍ عَنْهُ بِقدْرَتِهِ فِى ٱلأَرضِ فوهَبَهُ لِحَبِيبِهِ يَومَ ٱلقِيَامَةِ، بَيَانًا لِقَدْرِهِ وَتَعْرِيفًا، فَأَجْلَسَهُ عَلَيْهِ تفْضِيلاً لَهُ وَتَشْرِيفًا، لِيَكُونَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَوْقَ ٱلْمرْسَلِينَ فِى

---

(١) الشرح : ١ .
(٢) طه : ٢٩، ٣٠ .
(٣) الشرح : ٤ .
(٤) الإسراء : ٧٩ .

ٱلْجَلاَلَةِ، كَمَا كَانَ فِى ٱلدُّنْيَا آخِرَهُمْ فِى ٱلرِّسَالَةِ .

– قَالَ سبحَانَهُ لِمُوسَى عليه السلام بعْدَ تَمْكِينِهِ فِى ٱلْمَقَامِ : ﴿ قد أوتيت سؤالك يا موسى ولقد منا عليك مرة أخرى ﴾ (١) . فَجَعَلَ عَطَاءَهُ مَحدُودًا بِتِلْكَ ٱلْبُشْرَى، وَقَالَ لِحَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ ٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلاَمُ، بعْدَ أَنْ رَفَعَهُ إِليهِ فَتَجَاوَزَ كُلَّ مَقَامٍ : ﴿ قُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ (٢) . فَسُبْحَانَ منْ دَنَا فَتَدَلَّى لِحَبِيبِهِ قرْبًا وَكَرَمًا، فَلاَ تعلَمُ ٱلْعُقُولُ وَلاَ ٱلأَرْوَاحُ، مَا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَى حَبِيبِهِ ٱلْكَرِيمُ ٱلْفَتَّاحُ .

– وَقَالَ مُوسَى عليه السلام : ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ (٣) ، أَىْ فِى محَلِّ ٱلْعُبُودِيَّةِ وَٱلإِقْبَالِ عَلَيْكَ، فَقَالَ سُبحَانَهُ : ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ (٤)، لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ خَصَّهُ بِالْكلاَمِ وَإِدْرَاكِ ٱلْمَعَانِى، وَقَالَ لِحَبِيبِهِ ٱلْمُصْطَفَى عَلَيْهِ ٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلاَم : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ (٥)، ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ (٦)، فَرَأَى ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ رَبَّهُ فِى حضْرَةِ ٱلرُّبُوبِيَّةِ، وَلِكَلاَمِهِ سُبحَانَهُ

---

(١) طه : ٣٦، ٣٧ .
(٢) طه : ١١٤ .
(٣) الأعراف : ١٤٣ .
(٤) الأعراف : ١٤٣ .
(٥) النجم : ١٧ .
(٦) النجم : ٩ .

صَغَى فَبَيَّنَ ٱلْمُحِبِّ وَٱلْمَحْبُوب فِى ٱلْمَقَامَاتِ وَٱلتَّقْلِيب . كَمَا بَيَّنَ حَبِيب ٱللَّهِ مُحَمَّدٍ ﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ وَمُحِبِّ ٱللَّهِ مُوسَى عليه السلام فِى ٱلتَّقْرِيب، وَهُنَا تَحْلُو ٱلإِشَارَةِ عن ٱلْمَقَامِينَ، لِيَتَّضِحَ مَقَامَ منْ سمعَ وَمَنْ شَهِدَ ٱلْعَيْنَ بِالْعَيْنِ . كم بَيَّنَ مِنْ رَأْىٍ مَا رأَى عِنْدَ نَفْسَهُ فِى مَكَانِهِ فوْقَ ٱلْجبلِ، وَبَيْنَ مـــنْ رَأَى رَبَّهُ عِنْدَ رَبَّهُ فِى عُلُوِّهِ وبهِ إِلَيْهِ وَصَلْ، كَمْ بَيْنَ مَنِ ٱشْتَاقَ إِلَى ٱللَّهِ فَعَجَّلَ إِلَيْـــهِ شَوْقا مِنْهُ لِيرْضَى عَنْهُ، وَبَيْنَ منْ أَحَبَّهُ ٱللَّهُ فَعَجَّلَ بِهِ شَوْقًا إِلَيْهِ لِيرْضِيهِ وَيُقَرِّبَـــهُ مِنْهُ، حُبًّا فِيهِ وَرِضَاءً عنْهُ . كَمْ بَيْنَ مَنْ رَأَى أَنْوَارَ ٱلتَّجَلِّيَاتِ عَلَى قَدْرِ ٱلْجَبَلِ، فلَمْ يَثبتْ لَهَا وَهُوَ ٱلإِمَامُ ٱلأَجَلُّ، فَفَاضَتْ عَلَيْهِ ٱلأَنْوَارُ لِضِيقِهِ فَصُـــعِقَ وَدُكَّ ٱلْجَبَلُ، وَبَيْنَ منْ دَنَى لَهَ فَتَدَلَّى وَرَأَى رَبَّهُ بِعَيْنِى رَأْسَهُ فَثَبَتَ وَغَاضَـــتْ فِيـــهِ ٱلأَنوَارُ لِسَعَتِهِ وَبِهِ ٱتَّصَلَ، تَجَاوَزَ ٱلْمحْبُوبُ فِى ٱلْقُرْبِ مَقَامَ ٱلْمُحِبِّ تَمْكِينًا – كمَا جَاوَزَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٍ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ مَقَامَ سَيِّدِنَا مُوسَـــى عليه السلام قُرْبًا وَتَعْيِينًا .

– أَدْخَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُوسَى لاَمَ ٱلْمُلْكِ، وَأَقَامَ مُحَمَّدًا ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ مَقَامَهُ فِى ٱلْمُلْكِ، قَالَ تَعَالَى لِمُوسَى عليه السلام : ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِـــي ﴾ [1]، وَقَالَ لِمُحَمَّدٍ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَـــكَ إِنَّمَـــا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [2] فَشَتَّانَ بَيْنَ منِ ٱصْطَنَعَهُ لنَفْسِهِ وَبَينَ منْ أَقَامَهُ مَقَامَ نفْسِهِ تفْضِيلاً وَتَعظِيمًا) .

---

(١) طه : ٤١ .

(٢) الفتح : ١٠ .

– شَتَّانَ بَيْنَ منْ فَصلَ مدْحَهُ مَنْ وصَفَهُ، وَبَينَ مَنْ وَصَلَ مَدحَــهُ بِوَصْــفِهِ إِعْلاءً وَتَكرِيمًا، فَقَالَ تَعَالَى فِى ٱلفَصْلِ لِمُوسَى عليه السلام : ﴿ ألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني ﴾ (١)، وَقَالَ سُبْحَانهُ فِى ٱلْوَصْلِ لِحَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصــلاة والسلام : ﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصــيلا ﴾ (٢) فَأَثْبَتَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِنْدَ ٱللَّهِ مَثِيلٌ . وَقَالَ جل جلاله : ﴿فالله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين ﴾ (٣)، فهَذَا حُجَّةً عَلَى مَقَامِهِ ٱلأَمِينِ، وقَدْ فَسَّرَ بَعضَهُمْ قَوْلَهُ تعَالَى : ﴿ قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيك وكن م الشــاكرين ﴾ (٤)، أىْ خُذ مَا آتَيتُكَ مِــنَ ٱلكَلاَمِ ٱلَّذِى ٱصْطَفَيْتُكَ بِهِ عَلَى ٱلنَّاسِ، وَٱشْكرْ عَلَيْهِ، أَمَّا ٱلنَّظَرُ فَقَدْ خَصَصْتُ بِهِ سَيِّدَ ٱلْمُرْسَلِينَ .

---

(١) طه : ٣٩ .
(٢) الفتح : ٩.
(٣) التوبة : ٦٢ .
(٤) الأعراف : ١٤٤ .

الفصل الثاني

فضله ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ على سائر الرسل الكرام

هُنَا أَثْبَتَ لَكَ فَضْلَهُ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ عَلَى سَائِرِ ٱلرُّسْلِ ٱلْكِرَامِ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ (١) وَهُوَ ٱلْخَيرُ ٱلْكَثِيرُ مِنَ ٱلآلاَءِ وَٱلإِكْرَامِ، فَأَعْطَاهُ ٱللَّهُ تَعَالَى كُلَّ خَيْرٍ أَعْطَاهُ لِرُسُلِهِ سِرًّا وَعَلَنًا، وَزَادَهُ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ حَيًّا وَمَيْتًا، فَأَرْسَلَهُ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ كَافَّةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَجَعَلَهُ خَاتَمَ ٱلرُّسْلِ، فَلَمْ يَنْسَخْ شَرْعَهُ أَبَدَ ٱلآبِدِينَ، مَنَحَهُ كُلَّ مُعْجِزَةٍ لِلرُّسْلِ صَلَوَاتُ ٱللَّه وَسَلاَمَهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ فَضْلاً، وَزَادَهُ عَلَيْهِا إِحْسَانًا وَطُولاً .

– فَكَانَ كِتَابُ آدَمَ وَإِبْرَاهِيمَ كَلِمَاتٍ، وَكِتَابُ مُوسَى صُحُفًا، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ (٢) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ (٣) وَمُوسَى بِالتَّوْرَاةِ عُرِفَ، وَكِتَابُ مُحَمَّدٍ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ مُهَيْمِنٍ عَلَى ٱلْكُلِّ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ مُهَيْمِنًا عليه ﴾ (٤)، فَمَنَحَهُ ٱللَّهُ ٱلْخَيْرَ كُلَّهُ مُتَوَاصِلاً إِلَيْهِ، وَآدَمَ عليه السلام تَحَدَّى بِالْكَلِمَاتِ وَٱلأَسْمَاءِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ (٥) وَسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

---

(١) الكوثر : ١ .
(٢) البقرة : ٣٧ .
(٣) البقرة : ١٢٤ .
(٤) المائدة : ٤٨ .
(٥) البقرة : ٣١ .

﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ تَحَدَّى بِالْقُرْآنِ الْمَنظُومِ فَكَانَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، قَالَ سُبْحَانَه وتعالى : ﴿ قل إن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآنلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ (١) .

- أَكْرَمَ اللَّهُ نُوحًا عليه السلام بِإمْسَاكِ سَفِينَتِهِ عَلَى الْمَاءِ، وَأَكْرَمَ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ فَسَبَحَ الْحَجَرُ الضَّخْمُ بِالإِيمَاءِ عَلَى الْمَاءِ، قَالَ عِكْرِمَةُ بْنِ أَبِي جَهْلٍ : لاَ أُصَدِّقُكَ يَا مُحَمَّدٍ حَتَّى يَسْبَحَ هَذَا الْحَجَرُ فِي الْمَاءِ !! . . فَأَشَارَ إِلَيْهِ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ فَسَبَحَ بِلاَ إِبْطَاءٍ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلاَمُهُ وَشَهِدَ لَهُ بِالرِّسَالَةِ، فَقَالَ : يَكْفِيكَ هَذَا ؟ قَالَ : حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَكَانَهُ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَكَانَهُ الَّذِي انْخَلَعَ مِنْهُ، وَهَذَا حَدِيثٌ رُوِيَ عَنْهُ .

- جَعَلَ سُبْحَانَهُ النَّارَ بَرْدًا وَسَلاَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ (٢) وَرَسُولُ اللَّهِ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ مَسَحَ عَلَى جِسْمِ مُحَمَّدٍ بْنِ حَاطِبٍ الَّذِي احْتَرَقَ كُلُّهُ قَائِلاً صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ : (أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ)، فَعَافَاهُ اللَّهُ لِوَقْتِهِ وَمَنَحَهُ فَضلَهُ .

- فَلَقَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْبَحْرَ لِمُوسَى بِالْعَصَا، وَفَلَقَ سُبْحَانَهُ لِحَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ الْقَمَرُ وَآيَاتِهِ لاَ تُحْصَى .

- وَفَجَّرَ لِمُوسَى الْمَاءَ مِنَ الْحَجَرِ . وَأَجْرَى الْمَاءَ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ حَبِيبِهِ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ تَجْرِي نَهْرًا .

---

(١) الإسراء : ٨٨ .

(٢) التوبة : ١١٤ .

– ظَلَّلَ مُوسَى بِالْغَمَامِ فِي زَمَانِ رِسَالَتِهِ، وَأَكْرَمَ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ بِذَلِكَ قَبْلَ ظُهُورِ نُبُوَّتِهِ .

– قَلَبَ سُبْحَانَهُ عَصَا مُوسَى ثعْبَانًا، وَأَكْرَمَ حَبِيبَهُ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ عِنْدَمَا هَمَّ أَبُو جَهْلٍ أَنْ يَرْمِيهِ بِالْحَجَرِ فَرَأَى عَلَى كَتِفَيْهِ ثُعْبَانَيْنِ فَفَرَّ حَيْرَانًا .

– وَسَبَّحَتِ الْجِبَالُ مَعَ دَاوُدَ عليه السلام، وَسَبَّحَتِ الأَحْجَارُ فِي يَدِهِ وَفِي يَدِ أَصحَابِهِ بِفَصِيحِ الْكَلَامِ .

– وَأَلَانَ سُبْحَانَهُ الْحَدِيدَ لِدَاوُدَ بِمَسْحِهِ عَلَيْهِ بُرْهَانًا، وَمَسَحَ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ الشَّاةَ الْجَدْبَاءَ فَدَرَّ ضَرْعَهَا أَلْبَانًا .

– حَشَرَ لِدَاوُدَ الطَّيْرَ إِكْرَامًا، وَسَخَّرَ لِمُحَمَّدٍ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ الْبُرَاقَ إِعْظَامًا .

– أَحْيَا عِيسَى الْمَوْتَى وَأَبْرَأَ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَأَحْيَا لِلْحَبِيبِ الشَّاةَ الْمَسْمُومَةَ وَنَادَى الذِّرَاعُ إِنِّي مَسْمُومٌ فَأَبَاهُ، وَمَسَحَ بِغُصْنٍ عَلَى امْرَأَةِ مُعَاذِ بْنِ عَفْرَاءِ، وَكَانَتْ بَرْصَاءَ فَمَنَحَهَا اللَّهُ الشِّفَاءَ الَّذِي تَتَمَنَّاهُ، وَرَدَّ حَدَقَةَ الصَّحَابِيِّ بَعْدَ سُقُوطِهَا يَوْمَ أُحَدَ فَأَبْصَرَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَكَانَ عِيسَى يُخْبِرُ النَّاسَ بِمَا فِي بُيُوتِهِمْ مِنَ الأَشْيَاءِ الْخَفِيَّاتْ، وَأَخْبَرَ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِمَا أَخْفَاهُ عِنْدَ أُمِّ الْفَضْلِ فَأَسْلَمَ لِجَلِيِّ الْبَيِّنَاتْ .

– عَلَّمَ سُبحَانَهُ سُلَيْمَانَ مَنْطِقَ الطَّيْرِ، وَرُوِيَ أَنَّ طَائِرًا صَارَ يُرَفْرِفُ عَلَى رَأسِهِ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ وَيُكَلِّمُهُ فَقَالَ : أَيُّكُمْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا ؟ فَقَالَ رَجُلٌ : أَنَا، فَقَالَ : أُرْدُدْ وَلَدَهَا، وَكَلَامُ الذِّئْبِ وَالنَّاقَةِ مَعَهُ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ مَشْهُورْ، شَرَحَ اللَّهُ بِهِ الصُّدُورْ .

– وَأَكْرَمَ اللَّهُ سُلَيْمَانَ بِالرِّيحِ تَحْمِلُهُ تَغْدُو شَهْرًا وَتَرُوحُ شَهْرًا، وَحَمَلَهُ

سُبْحَانَهُ عَلَى ٱلْبُرَاقِ فَوَصَلَ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ إِلَى بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ فِي نَفَسٍ سَيْرًا، وَحَنَّ إِلَيْهِ ٱلْجِذْعَ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ حَنِينَ ٱلرَّضِيعِ، عِنْدَمَا ٱرْتَقَى عَلَى ٱلْمِنْبَرِ وَلَمْ يَتَشَرَّفْ بِمَسِّ ٱلنَّبِيِّ ٱلشَّفِيعِ .

أَنْتَ شَمْسٌ قَدْ كُنْتَ بَدْءًا مُنِيرًا جِئْتَ لِلْخَلْقِ أَجْمَعِينَ بَشِيرًا
لاَحَ نُورُ ٱلْهُدَى بِنُورٍ مُحَيَّاكَ ٱلْجَمِيلِ ٱلْمُفِيضِ مِنْكَ ٱلسُّرُورَا
أَشْرَقَ ٱلنُّورُ بِالْهُدَى يَا حَبِيبِي يَمْحَقُ ٱلْكُفْرَ وَٱلظَّلاَمَ سُفُورَا
سَيِّدَ ٱلرُّسْلِ بِالْهُدَى وَٱلتَّهَانِي قَدْ أَتَانَا فكَانَ لِلرُّوحِ نُورًا
فِي ظَلاَمٍ مِنْ قَبْلِهِ وَضَلاَلٍ فَاهْتَدَيْنَا بِهِ شَهِدْنَا ٱلْغَفُورَا
أَنْتَ أَوْلَى بِالْمُؤمِنِينَ يَقِينًا أَشْهِدِ ٱلرُّوحَ يَا حَبِيبِي ظُهُورَا
كُلُّ قَلْبٍ بِكَ ٱطْمَأَنَّ حَبِيبِي كُنْ شَفِيعِي وَٱسْأَلْ مُجِيبًا قَدِيرَا
أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ نَعَمْ فِي رَبِيعٍ مَوْلِدُ ٱلْمُصْطَفَى أَضَاءَ ٱلضَّمِيرَا
تَفْرَحُ ٱلرُّوحُ عِنْدَ ذِكْرَاهُ تُعْطَى كُلَّ خَيْرٍ تَرَى سِرَاجًا مُنِيرَا

هذَهِ قطرَةٌ مِنْ مُعْجزَاتِ خَيْرِ ٱلْبَرِيَّةِ، وَمُعْجزَاتُهُ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ لاَ تُعَدُّ وَلاَ تُحْصَى تَدُلُّ عَلَى مَكَانَتِهِ ٱلْعَلِيَّةْ .

الباب الرابع

رسول اللّه ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ رحمة اللّه الواسعة لكل موجود

وَهُنَا نُبَيِّنُ أَنَّهُ رَحْمَةُ ٱللَّهِ ٱلْوَاسِعَةُ لِكُلِّ مَوْجُودٍ، وَنُورِهِ ٱلسَّاطِعُ مِنْ لَدُنْهِ سُبْحَانَهُ لِلْفَوزِ بالشُّهُودِ . جَاءَ سَيِّدُنَا عِيسَى عليه السلام دَاعِيًا إِلَى ٱلأَخْلاَق، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ قَوْمَهُ وَحَصَلَ ٱلافْتِرَاق . وَدَعَا سَيِّدُنَا مُوسَى عليه السلام فِرْعَوْنَ إِلَى مَنْحِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱلْحُرِّيَّةَ فِي ٱلأَعْمَال، فَأَبَى وَتَكَبَّرَ فَأَغْرَقَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلْحَال . فَلَمْ يَنْتَفِعْ فِرْعَوْنَ بالدَّعْوَةِ . وَكَانَتْ عَلَيْهِ – أَعَاذَنَا ٱللَّهُ – بَلْوَةٌ . وَنَادَى ٱلْخَلِيلُ بالانْتِقَامِ فَأَهْلَكَهُمُ ٱللَّهُ، وَجَعَلَ ٱلنَّارُ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلاَمًا، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بنُورِهِ ٱلْمَاحِي لِلظَّلاَمِ . وَنَادَى نُوحٌ فِي قَوْمِهِ بعِبَادَةِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ، فَأَذُوهُ وَكَفَرُوا فَأَغْرَقَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلطُّوفَانِ وَأَسْرَعَ بهِمْ إِلَى ٱلنَّارِ، فَلَمْ يَنَالُوا خَيْرًا مَعَ وُضُوحِ ٱلْحُجَّةِ فِي ٱلآثَارِ، وَمَا أَرْسَلَ ٱللَّهُ رَسُولاً مِنْ قَبْلِهِ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ إِلاَّ وَكَانَ سَبَبًا فِي ٱلإِهْلاَكِ وَٱلدَّمَارِ .

وَتَفْصِيلُ مَا أَجْمَلْتُهُ مُوَضَّحٌ فِي ٱلْكُتُبِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ وَٱلأَسْفَارِ، وَلاَ تَزَالُ ٱلْبَقِيَّةِ ٱلْبَاقِيَةِ مِنْ أَقْوَامِ ٱلرُّسْلِ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلاَمُ، يَحْكُمُ ٱلْعَقْلُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ ٱلنَّارِ، بمَا هُم عَلَيْهِ مِنَ ٱلْعَقَائِدِ ٱلْمُنْكَرَةِ عَقْلاً، لأَنَّهُمْ فِي ظَلاَمٍ وَضَلاَلٍ، حَتَّى أَشْرَقَتْ شَمْسُ ٱلْحَبِيبِ ٱلْمُصْطَفَى بالرَّحْمَةِ وَٱلْحَنَانِ، فَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [1] يَدْعُو إِلَى ٱللَّهِ بِوَاضِحِ ٱلْبُرْهَانِ، وَقَالَ

---

(١) التوبة : ١٢٨ .

تَعَالَى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [1] فَهُوَ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ عَيْنُ ٱلرَّحْمَةِ لِكُلِّ إِنْسَانٍ، وَهُمْ بَيْنَ مَحْوسٍ يَعْبُدُونَ مَا صَنَعَتْهُ أَيْدِيهِمْ مِنَ ٱلأَحجَارِ، أَوْ مُشْرِكِينَ قَدْ ٱتَّخَذُوا لِلَّهِ وَلَدًا، أَوْ ضَالِّينَ مُضِلِّينَ أَثْبَتُوا لَهُ سُبْحَانَهُ ضِدًّا وَنِدًّا.

فَمَا أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ ٱلْمُحَمَّدِيَّةُ . عَلَى ٱلعَوَالِمِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ وَٱلأَرْضِيَّةِ، إِلاَّ وَأَبْصَرَتِ ٱلْعُيُونُ ٱلْعَمْيَائِيَّةُ آيَاتِ ٱللَّهِ، وَصَغَتِ ٱلآذانِ إِلَى ٱلْكَلاَمِ ٱلْمُقَدَّسِ وَفَهِمْتُ مَعنَاهُ، وَنَطَقَتِ ٱلأَلْسِنَةُ بِالْحِكْمَةِ ٱلرُّوحَانِيَّةِ وَشَهِدَتِ ٱلأَرْوَاحِ ٱلجَمَالاَتِ ٱلإِلَهِيَّةِ، وَسَجَدَتِ ٱلقُلُوبُ لِعَلاَّمِ ٱلْغُيُوبِ، مُطْمَئِنَّةً بِمَا تَنَاوَلَتْهُ مِنْ طَهُورِ ٱلْمَشْرُوبِ .

وَلَوْ أَنَّ بَنِى ٱلإِنْسَانِ نَظَرُوا بِعُيُونِ ٱلإِيمَانِ، إِلَى مَا تَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِهِ ٱلْكَرِيمُ ٱلْحَنَّانُ، عَلَى يَدِ حَبِيبِهِ وَمُصطَفَاهُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَٱلْحَنَانِ، بِمَا جَاءَنَا بِهِ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَٱلْقُرْآنِ، لَعَرِفْنَا قَدْرَ هَذَا ٱلرَّسُولِ ٱلْكَرِيمِ. وَلَتَحَقَّقْنَا أَنَّ أَرْوَاحَنَا قَلِيلَةٌ أَنْ تُبْذَلَ فِى إِحْيَاءِ سُنَّةِ هَذَا ٱلنَّبِيِّ ٱلرَّءُوفِ ٱلرَّحِيمِ.

كَانَ ٱلنَّاسُ قَبْلَ بِعْثَتِهُ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ فِى ظَلاَمٍ حَالِكٍ، مِنْ كُفْرٍ وَظُلْمٍ وَكَانَ ٱلْكُلُّ قَبْلَهُ هَالِكٍ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [2] – يعنى مُحَمَّدًا ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ – ﴿إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ [3] .

وَنِعْمَةُ ٱللَّهِ هِىَ حَبِيبُهُ وَمُصْطَفَاهُ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ ﴿ وكنتم

---

(١) الأنبياء : ١٠٧ .

(٢) آل عمران : ١٠٣ .

(٣) آل عمران : ١٠٣ .

على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾ [1]، يَعْنِي أَنقَذَنَا مِنَ ٱلكُفْرِ ٱلْمُوجِبُ لِلنَّارِ، بِمَا جَاءَنَا بِهِ رسُولُ ٱللَّهِ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ مِنَ ٱلتَّوْحِيدِ وَٱلأَنوَارِ .

لَوْ تَذَكَّرْنَا مَا كَانَ ٱلْعَالَمُ عَلَيْهِ قَبْلَ إِشْرَاقِ أَنوَارُهُ، وَمَا كَانُوا فِيهِ قَبلَ ظُهُورِ أَسْرَارِهِ، لعَادَتْ لَنَا حَيَاتَنَا ٱلرُّوحَانِيَّةِ وَأَنوَارُنَا ٱلرَّبَّانِيَّةِ، وَلَكَانَ ٱللَّهُ مَعَنَا كَمَا كَانَ مَعَ سَلَفَنَا يَستَجِيبُ لَنَا إِذَا سَأَلْنَا، وَيُعِينَنَا إِذَا ٱسْتَعَنَّا، وَنَحْنُ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ لاَ نَزَالُ وَلَنْ نَزَالُ مَهْمَا كَرَّتْ ٱلدُّهُورُ، أَوْ تَوَالَتِ ٱلأَيَّامِ وَٱلْعُصُورِ، نَشهَدُ أَنْوَارَهُ ٱلْمُحَمَّدِيَّةَ مُشرِقَةً لاَ تَغِيبُ . تَسْطَعُ أَنوَارُهُ عَلَى قُلُوبِ ٱلْمُسْلِمِينَ فَتَجْذِبَهُم إِلَى ٱلتَّقْرِيبِ .

وَكَيفَ لاَ وُهُوَ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ مَعَنَا بِمُعْجَزَاتِهِ ٱلْعُظْمَى، وَفِينَا ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ بِآيَاتِهِ ٱلْكُبْرَى، وَهِيَ ٱلْقُرْآنُ ٱلمَجِيدُ وَمَن أَلهَمَهُمْ ٱلفِقْهَ فِيهِ، وَلاَ يَزَالُ يَظْهَرُ بَينَ ظَهْرَانِينَا ٱلْوَارِثُ بَعدَ ٱلْوَارِثُ يَتَوَلاَّهُ ٱللَّهُ وَيَهْدِيهِ، يُقِيمُ بِهِ سُبْحَانَهُ عَلَى ٱلْعَالَمِ حُجَّتَهُ، وَيُبَيِّنُ بِهِ لأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ مَحَجَّتَهُ، فَهُوَ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾ لاَ يَغِيبُ عَنِ ٱلْمُسْلِمِينَ إِذَا حَفِظُوا حُجَّتَهْ .

وَكَيْفَ يَغِيبُ وَهُوَ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ ٱلشَّمْسُ ٱلْمُشْرِقَةُ مِنَ ٱلْبَدْءِ إِلَى ٱلخَتْمِ لِلْعَالَمِينَ، وَنَحنُ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا تَوَالَتِ ٱلْقُرُونُ فِي ٱلتَّجْدِيدِ، كُلَّمَا أَشرَقَتْ عَلَى ٱلْقُلُوبِ مِنْهُ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ أَنْوَارُ ٱلتَّوْحِيدِ، فَهُوَ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ رَحْمَةُ ٱللَّهِ حَقًّا فِي ٱلدُّنْيَا، وَنِعْمَتُهُ

---

(١) آل عمران : ١٠٣ .

سُبْحَانَهُ وَرِضْوَانَهُ فِى ٱلأُخْرَى، وَفَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْنَا بِـــهِ لاَ يُحْصَـــى، وَإِحْسَـــانُهُ ٱلْخَاصُّ بِنَا لاَ يَسْتَقْصِى وَكَيْفَ لاَ وَهْوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ ﴾[1].

(١) آل عمران : ١١٠ .

الباب الخامس

الاحتفال بمولده ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾

أَصْغَرُ مُسْلِمٍ لاَ يَغِيبُ عَنْهُ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾، مَادَامَ يَعْمَلُ بِالْقُرْآنِ وَبِسُنَّةِ سَيِّدِ ٱلْمُرْسَلِينَ، فَبُشْرَى لَنَا بِمَوْلِدِه ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ ٱلَّذِى يَذْكُرُنَا مَا أَكْرَمَنَا ٱللَّهُ بِهِ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَٱلتَّمْكِينِ، نَفْرَحُ بِمَوْلِدِه ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ فَرَحًا يَفُوقُ فَرَحَنَا بِالْعَافِيَةِ وَٱلْمَالِ، بَلْ يَفُوقُ فَرَحَنَا بِالْمُلْكِ وَٱلْعِيَالِ، نُحْيِ لَيَالِيهِ بِالْفَرَحِ وَٱلْمَسَرَّاتِ، حُبُورًا بِمَوْلِدِهِ ٱلشَّرِيفِ ٱلَّذِى تَوَالَتْ بِهِ ٱلْخَيْرَاتِ، وَأَىُّ مُسْلِمٍ لاَ يُحْيِى تِلْكَ ٱللَّيَالِى فَرَحًا مَسرُورًا ؟ تَجْدِيدًا لِذِكْرَاهُ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ شكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى نُعْمَاهُ وَحُبُورًا ؟

وَقَدْ عَيَّنَ ٱللَّهُ لِلْخَيْرِ أَوقَاتًا، وَجَعَلَهَا لِلْعَطَايَا آنَاتٍ، كَمَا جَعَلَ لِغَيْثِ ٱلسَّمَاءِ أَوْقَاتًا مُعَيَّنَةً، وَجَعَلَ لِزِيَادَةِ ٱلنِّيلِ وَٱلأَنْهَارِ الأُخْرَى أَيَّامًا مُبَيِّنَةً، فَكَذَلِكَ جَعَلَ أَوَائِلَ رَبِيعٍ أَوَّلٍ . لِتُشْرِقَ فِيهَا شَمْسُ ٱلرَّحْمَةِ ٱلرَّبَّانِيَّةِ، وَتُفَاضُ فِيهَا أَنْهَارُ ٱلْفَضْلِ ٱلإِحْسَانِيَّةِ، فَطُوبَى لِمَنْ أَحْيَا تِلْكَ ٱللَّيَالِى حُبًّا فِى رَسُولِ ٱللَّهِ، وَقَدَّمَ فِيهَا ٱلْخَيْرَ لِيَنَالَ مَا يَتَمَنَّاهُ، بَلْ وَبُشْرَى لِمَنْ بَيَّنَ لِلْمُسْلِمِينَ شَمَائِلَ ٱلْحَبِيبِ ٱلْمُصْطَفَى، وَوَضَّحَ لَهُمْ مَا نَالَتْهُ ٱلأُمَّةُ ٱلْمُحَمَّدِيَّةُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَٱلصَّفَا، فَتَمَثَّلَتْ ٱلنُّفُوسُ جَمَالُهُ ٱلْمُحَمَّدِى، وَمَا تَفَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْخَيْرِ بِهَذَا ٱلنَّبِىِّ ٱلأُمِّىِّ .

وَإِنْ كَانَ ٱبْنِ ٱلْحَاجِ فِى ٱلْمَدْخَلِ قَدْ أَنْكَرَ، فَإِنَّهُ غَفَرُ ٱللَّهُ لَهُ حُكْـــم وَلَـــمْ يَتَبَصَّرَ، إِنَّ إِحْيَاءِ لَيَالِى ٱلْمَوْلِدِ ٱلشَّرِيفِ وَإِنْ لَمْ تَظْهَرْ فِى عَهْدِ ٱلسَّلَفِ، فَـــإِنَّ أَنفُسَهُمْ كُلَّهَا كَانَتْ ذِكْرَى لَهُ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ وَمِنْهُ تُحَـــفٌّ، وَكَانَت قُلُوبُهُمْ تَتَمَثَّلَهُ فِى كُلِّ هِمَّةٍ وَحَرَكَةٍ، وَتَستَحْضِرَهُ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْـــهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ فِى كُلِّ لَمَّةٍ وَسَكَنَةٍ، وَقَد شَغَلَتِ ٱلدُّنيَا وحُظُوظِهَا ٱلْقُلُـــوبَ، فَاحْتَاجَتْ إِلَى ٱلْيَقَظَةِ لِذِكْرِ شَمَائِلِ ٱلحَبِيبِ ٱلْمَحْبُوبِ، لِتَحْيَا فِـــى رِيَـــاضِ ٱلشُّهُودِ وَتَتَنَاوَلُ مِنْ طَهُورِ ٱلْمَشْرُوبِ .

وَإِنِّى أَستَحسِنُ كُلَّ ٱلاسْتِحْسَانِ، مَا يَقُومُ بِهِ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنْ إِحْيَـــاءِ لَيَـــالِى ٱلْمَوْلِدِ فِى هَذَا ٱلزَّمَانِ، تَجْدِيدًا لِذِكْرَى مَن بِهِ أَسْعَدَنَا ٱللَّهُ بِالإِيمَانِ، وَإِنْ ٱدَّعَى مَنْ يُنكِرُ عَلَيْنَا بِحُصُولِ ٱلْمَفَاسِدِ وَٱلْبِدَعِ، فَإِنَّ ٱلْخَيرَ ٱلْعَامَّ ٱلَّذِى بِهِ كُلَّ إِنْسَانٍ ٱنْتَفَعَ، لاَ يَمنَعُ بِحُصُولِ مُفسِدَةٍ بِسَبَبِهِ إِذَا عَمَّ ٱلنَّفْعَ بِهِ وَسَطَعَ، وَلَوْ كَانَ ٱلأَمْرُ كَذَلِكَ لَكَانَتْ بَعْثَةُ ٱلرُّسْلِ وَشُرُوقِ ٱلشَّمْسِ وَإِنْزَالُ ٱلأَمْطَارِ أَولَى بِالْمَنْعِ مِمَّن مَنَعَ، فَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ مَنْ يَمنَعُونَ هَذَا ٱلْخَيْرِ فَإِنْ مَنَعَهُمْ هُوَ شَرُّ ٱلْبِدَعِ، وَٱللَّهُ تَعَالَى يَهْدِى مَنْ سَبَقَ لَهُ ٱلْهُدَى، وَيُضِلَّ مَنْ سَبَقَ لَهُ ٱلرَّدَى، وَإِنَّ فُقَرَاءِ آلِ ٱلعَـــزَائِمِ يَفرَحُونَ بِرَسُولِ ٱللَّهِ، وَيَشْهَدُونَ أَنوَارَهُ عِنْدَ ذِكْرَاهُ .

ٱللَّهُمَّ إِنَّا نَسأَلُكَ بِحَبِيبِكَ ٱلْمُصْطَفَى، أَنْ تُوردَنَا مَوَارِدَ أَهْلِ ٱلصَّـــفَا، وَأَن تُعِينَنَا يَا رَبَّنَا عَلَى ٱلْقِيَامِ لَهُ ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ بِالْوَفَا، وَأَنْ تَجعَلَنَا مِمَّنْ يَفْرَحُ بِذِكْرَاهُ، وَمِمَّنْ نَصَرَ وَوَلاَهُ، وَأَنْ تُحْيِى قُلُوبَنَا بِإِحْيَاءِ لَيَالِى مَوْلِـــدُ حَبِيبِكُ ٱلشَّفِيعِ ٱلأَعظَمِ، وَتُعِينَنَا عَلَى شُكْرِكَ سُبحَانَكَ بِمَا تَفَضَّلْتَ بِهِ عَلَيْنَـــا بِوَسِيلَتِنَا ٱلعُظْمَى وَحَبِيبَنَا ٱلنَّبِىِّ ٱلأَكرَمِ، وَنَتَوَجَّهُ يَا إِلَهِى إِلَيكَ، بِحُبِّكَ ﴿صَلَّى

ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ وَجَاهَهُ لَدَيكَ، أَنْ تَجْعَلَنَا أَنصَارًا لِحَضْرَتِهِ ٱلْمُحَمَّدِيَّةِ، عُمَّالاً بِسُنَّتِهِ ٱلنَّبَوِيَّةِ، مُجَدِّدِينَ يَا إِلَهِى لآثَارِهِ، فَائِزِينَ فِى ٱلدَّنْيَا وَٱلآخِرَةِ بِأَنْوَارِهِ، وَأَن تُمَكِّنْ لَنَا بِٱلْحَقِّ فِى ٱلأَرْضِ، مَعَ ٱلْمُحَافَظَةِ عَلَى ٱلسُّنَّةِ وَٱلْفَرْضِ، وَٱلْقِيَامِ لَكَ سُبْحَانَكَ بِكَ بِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ .

ٱللَّهُمَّ تَنَزَّلْ بِإِحْسَانِكَ وَعَفْوِكَ وَحَنَانَكَ لِكُلِّ مَنْ أَعَانَ، عَلَى تِلاَوَةِ هَذَا ٱلْمَوْلِدِ ٱلشَّرِيفِ وَٱجْعَلْهُ يَا إِلَهِى فِى حُصُونِ ٱلأَمَانِ، وَتَفَضَّلْ يَا إِلَهِى عَلَى ٱلسَّامِعِينَ بِالتَّوْفِيقِ لِلتَّشَبُّهِ بِشَمَائِلِ حبيبِكَ وَمُصطَفَاكَ، وَأَجْزِلْ يَا إِلَهِى سَوَابِغَ آلاَئِكَ وَنُعْمَاكَ، لَنَا وَلَهُمْ وَٱمْنَحِ ٱلشِّفَاءَ وَٱلعَافِيَةَ، وَيَسِّرْ لَنَا يَا إِلَهِى مِنَ ٱلْخَيْرِ ٱلْقُصُودُ ٱلدَّاعِيَةِ . وَٱدْفَعْ عَنَّا يَا إِلَهِى ٱلْمَصَائِبَ وَٱلْبَلاَيَا، وَفَرِّحْنَا يَا إِلَهِى بِتَوَالِى ٱلْخَيْرِ وَٱلْعَطَايَا وَأَصْلِحْ بَيْنَنَا، وَهَبْ لَنَا ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ مُجِيبَ ٱلدُّعَاءِ، وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَدِيرٍ . وَٱحْفَظْ يَا إِلَهِى فُقَرَاءَ آلَ ٱلعَزَائِمِ مِنَ ٱلْفِتَنِ وَٱلْمِحَنِ، وَهَبْ لَنَا جَمِيعًا ٱلْمِنَحِ وَٱلْمَنَنِ، وَأَهْلِكَ يَا إِلَهِى أَعْدَاءَكَ وَأَعْدَاءَنَا، وَأَعَدَّهُمْ عَبِيدًا لَنَا، أَذِلاَّءَ كَمَا كَانُوا، وَٱجْعَلِ ٱلْعَمَلَ بِالسُّنَّةِ وَٱلْقُرْآنِ، فِى كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَأَيِّدْ جَمَاعَةَ ٱلْمُسْلِمِينَ، بِرُوحَانِيَّةِ سَيِّدِ ٱلْمُرْسَلِينَ، وَكُنْ لَنَا وَمَعَنَا كَمَا كُنْتَ لِسَلَفِنَا ٱلصَّالِحِ يَا رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ وَصَلَّى ٱللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحبِهِ أَجْمَعِينَ .

تطلب مؤلفات الإمام المجدد

السيد محمد ماضى أبو العزائم عليه السلام

من مكتبة دار الكتاب الصوفى

تليفون المكتبة 002 022 3901030

١١٤ش مجلس الشعب

فى جانب تفسير القرآن :
١- هذا السفر الجليل " أسرار القرآن ".
٢ تفسير سورة القدر.

فى جانب العقيدة :
١- كتاب عقيدة النجاة .
٢- كتاب الإسلام دين الله وفطرته التى فطر الناس عليها.

فى جانب العلوم الفقهية:
١- كتاب أصول الوصول لمعية الرسول (ﷺ وآله).
٢- صيام أهل المدينة المنورة.
٣- هداية السالك إلى علم المناسك .

فى جانب السيرة النبوية والرد على المستشرقين:
١- سيرة النبى (ﷺ وآله)
٢- وسائل إظهار الحق .

فى جانب ما يجب أن يعرفه المسلم :
١- النشأة الثانية.
٢- الوسيلة وما إختلف فيه من السنة والبدعة.
٣- الشفاء من مرض التفرقة.
٤- الجفر.
٥- تحذير الدين من بيع أراضى فلسطين.
٦- النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين.
٧- الرد على نظرية دارون.

فى جانب الأخوة الإسلامية :
١- الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله (ﷺ **وآله**).
٢- الإسلام وطن والمسلمون جميعا أهله.

فى جانب المناسبات الدينية :

١- السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج
٢- بشائر الأخيار فى مولد المختار
٣- مشارق البيان فى فضائل شعبان
٤- لبيك اللهم لبيك.

فى جانب المسرحيات الدينية :

١- محكمة الصلح الكبرى.
٢- العالم والتاجر والفلاح.
٣- المقتصد والمسرف والفاسد.
٤- السياسى والحكيم والغشيم.
٥- الصالح واللص والسكرى.

فى جانب الصلوات والأدعية :

١- نيل الخيرات بملازمة الصلوات.
٢- الفتوحات الربانية والمنح النبوية فى الصلاة على خير البرية.
٣- الأدعية والاستغاثات الكبرى.

فى جانب التصوف :

١- شراب الأرواح من فضل الفتاح.
٢- تذكرة المرشدين والمسترشدين.
٣- معارج المقربين.
٤- الطهور المدار على قلوب الأبرار.
٥- من جوامع الكلم.
٦- الطريق إلى الله تعالى.
٧- الفرقة الناجية.
٨- دستور السالكين طريق رب العالمين.
٩- دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك.
١٠- مصطلحات الصوفية
١١- آداب أل العزائم
١٢- دروس تزكية النفوس
١٣- موارد أهل الصفا
١٤- قبس من المضنون
١٥- الصوفية والتصوف

فى جانب المواجيد:

١- مواجيد شهر محرم، صفر، ربيع أول، ربيع آخر، جماد أول، جماد آخر، رجب، شعبان، رمضان.

٢- المواجيد العزمية فى مواجهة الروضة الحسينية.

٣- ديوان ضياء القلوب من فضل علام الغيوب.

خَاتَمُ ٱلْوُرَّاثِ ٱلْمُحَمَّدِيِّينَ

ﷺٱلإِمَامُ ٱلْمُجَدِّدُ ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدٌ مَاضِي أَبُو ٱلْعَزَائِمِ

فِي سُطُورٍ مِنْ نُورٍ

- نَسَبُهُ ﷺ: سَلِيلُ أَهْلِ ٱلْبَيْتِ ٱلطَّيِّبِينَ ٱلطَّاهِرِينَ، حَسَنِيٌّ مِنْ جِهَةِ وَالِدَتِهِ، حُسَيْنِيٌّ مِنْ جِهَةِ وَالِدِهِ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلاَمُ.
- مَوْلِدُهُ ﷺ: وُلِدَ يَوْمَ ٱلاثْنَيْنِ ٢٧ مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ ١٢٨٦هـ ٱلْمُوَافِقَ ١٨٦٩/١١/٢م بِمَسْجِدِ سَيِّدِي زَغْلُولٍ بِرَشِيدٍ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ ٱللهِ وَلَمْ يَسْبِقَ لأَحَدٍ مِنَ ٱلْعَالَمِينَ أَنْ يُولَدَ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ ٱللهِ سِوَى جَدِّهِ ٱلإِمَامِ عَلِيٍّ ﷺ حَيْثُ وَضَعَتْهُ أُمُّهُ عَلَيْهَا ٱلسَّلاَمُ فِي ٱلْبَيْتِ ٱلْحَرَامِ، وَلَمْ يُولَدْ بَعْدَهُ مَوْلُودٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
- وَظَائِفُهُ ﷺ: عَمِلَ بِٱلتَّدْرِيسِ، ثُمَّ تَدَرَّجَ فِى سِلْكِ ٱلْوَظَائِفِ حَتَّىٰ صَارَ أُسْتَاذًا لِلشَّرِيعَةِ ٱلإِسْلاَمِيَّةِ بِجَامِعَةِ ٱلْخُرْطُومِ.
- إِقَالَتُهُ مِنْ وَظِيفَتِهِ ﷺ: كَانَ يَرَىٰ أَنَّ أَهَمَّ وَظَائِفِ ٱلرَّجُلِ ٱلدِّينِيِّ ٱلإِرْشَادُ وَٱلنَّصِيحَةُ لِلْحَاكِمِينَ، بَلْ لِعَامَّةِ ٱلنَّاسِ، وَٱلتَّحْذِيرُ مِنَ ٱلْوُقُوعِ فِى حَبَائِلِ ٱلاِسْتِعْمَارِ فَأَقْصَاهُ ٱلْحَاكِمُ ٱلْعَامُ ٱلإِنْجِلِيزِيُّ مِنْ وَظِيفَتِهِ فِي يَوْمِ ٱلأَحَدِ ١٩ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ ١٣٣٣هـ ٱلْمُوَافِقَ ١٩١٥/٨/١م.
- مُطَالَبَتُهُ ﷺ بِعَوْدَةِ ٱلْخِلاَفَةِ ٱلإِسْلاَمِيَّةِ: بَعْدَ أَنْ قَرَّرَتِ ٱلْجَمْعِيَّةُ ٱلْوَطَنِيَّةُ بِأَنْقَرَةَ فِي يَوْمِ ٱلأَحَدِ ٢٦ مِنْ رَجَبٍ ١٣٤٢هـ ٱلْمُوَافِقَ ١٩٢٤/٣/٢م، إِلْغَاءَ ٱلْخِلاَفَةِ ٱلإِسْلاَمِيَّةِ دَعَا ٱلإِمَامُ لِتَأْسِيسِ جَمَاعَاتٍ لِلْخِلاَفَةِ ٱلإِسْلاَمِيَّةِ بِجَمِيعِ أَنْحَاءِ ٱلْعَالَمِ ٱلإِسْلاَمِيِّ، وَٱنْتُخِبَ رَئِيسًا لِجَمْعِيَّةِ ٱلْخِلاَفَةِ ٱلإِسْلاَمِيَّةِ بِمِصْرَ فِي يَوْمِ ٱلْخَمِيسِ ١٣ مِنْ شَعْبَانَ ١٣٤٢هـ ٱلْمُوَافِقِ ١٩٢٤/٣/٢٠م، وَنَابَ عَنْ شَعْبِ مِصْرَ فِي حُضُورِ مُؤْتَمَرِ ٱلْخِلاَفَةِ ٱلإِسْلاَمِيَّةِ ٱلَّذِي ٱنْعَقَدَ فِي مَكَّةَ ٱلْمُكَرَّمَةِ سَنَةَ ١٣٤٤هـ ٱلْمُوَافِقَ ١٩٢٦م فِي شَهْرِ ذِي ٱلْحِجَّةِ.
- دَعْوَتُهُ ﷺ: أَسَّسَ جَمَاعَةَ آلِ ٱلْعَزَائِمِ سَنَةَ ١٣١١هـ ٱلْمُوَافِقَ ١٨٩٣م،وَٱلطَّرِيقَةَ ٱلْعَزْمِيَّةَ سَنَةَ ١٣٥٣هـ ٱلْمُوَافِقَ ١٩٣٤م، وَمَقَرُّهُمَا ١١٤ شَارِعَ مَجْلِسِ ٱلشَّعْبِ بِٱلْقَاهِرَةِ.
- تُرَاثُهُ ٱلْعِلْمِيُّ ﷺ: تَذْخَرُ ٱلْمَكْتَبَةُ ٱلإِسْلاَمِيَّةُ بِمِئَاتِ ٱلْكُتُبِ مِنْ تُرَاثِهِ ٱلْعِلْمِيِّ ﷺ فِى ٱلتَّفْسِيرِ، وَٱلْفِقْهِ وَعِلْمِ ٱلْكَلاَمِ، وَٱلتَّصَوُّفِ وَٱلْفَتَاوَىٰ وَٱلسِّيرَةِ وَٱلْمَوَاجِيدِ.
- ٱنْتِقَالُهُ ﷺ: ٱنْتَقَلَ إِلَى ٱلرَّفِيقِ ٱلأَعْلَىٰ لَيْلَةَ ٱلاِثْنَيْنِ ٢٧ مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ ١٣٥٦هـ ٱلْمُوَافِقُ ١٩٣٧/١٠/٣م، وَنَزَلَ بِرَوْضَتِهِ ﷺ بِمَسْجِدِهِ بِشَارِعِ مَجْلِسِ ٱلشَّعْبِ بِٱلْقَاهِرَةِ.
- خَلِيفَتُهُ ٱلأَوَّلُ ﷺ: ٱبْنُهُ ٱلأَكْبَرُ ٱلإِمَامُ ٱلسَّيِّدُ أَحْمَدُ مَاضِي أَبُو ٱلْعَزَائِمِ ﷺ، شَكَّلَ عُمْرًا جَدِيدًا لِدَعْوَةِ ٱلإِمَامِ ﷺ وَنَشَرَ تُرَاثَهُ ٱلْعِلْمِيَّ وَٱنْتَقَلَ إِلَى ٱلرَّفِيقِ ٱلأَعْلَىٰ يَوْمَ ٱلثُّلاَثَاءِ ٢٠ مِنْ رَبِيعٍ ٱلأَوَّلِ سَنَةَ ١٣٩٠هـ ٱلْمُوَافِقَ ١٩٧٠/٥/٢٦م، وَنَزَلَ بِرَوْضَتِهِ ﷺ يَوْمَ ٱلْخَمِيسِ ٢٢ مِنْ رَبِيعٍ ٱلأَوَّلِ

١٣٩٠هـ ٱلْمُوَافِقَ ١٩٧٠/٥/٢٦م بِمَسْجِدِ وَالِدِهِ ٱلإِمَامِ عليه السلام بِشَارِعِ مَجْلِسِ ٱلشَّعْبِ.

- خَلِيفَتُهُ ٱلثَّانِي عليه السلام: ٱلإِمَامُ ٱلسَّيِّدُ عِزُّ ٱلدِّينِ مَاضِي أَبُو ٱلْعَزَائِمِ عليه السلام، حَفِيدُ ٱلإِمَامِ وَٱلاِبْنُ ٱلأَكْبَرُ لِلْخَلِيفَةِ ٱلأَوَّلِ، وَهُوَ ٱلْمُجَاهِدُ ٱلأَكْبَرُ فِي دَعْوَةِ ٱلإِمَامِ وَنَشْرِ تُرَاثِهِ ٱلْعِلْمِيِّ، وَقَدِ ٱنْتَقَلَ عليه السلام يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ ٢٢ مِنْ ٱلْمُحَرَّمِ سَنَةَ ١٤١٥هـ ٱلْمُوَافِقَ ١٩٩٤/٧/١م وَنَزَلَ بِرَوْضَتِهِ عليه السلام بِمَسْجِدِهِ بِمَدِينَةِ إِيتَايِ ٱلْبَارُودِ مُحَافَظَةِ ٱلْبُحَيْرَةِ يَوْمَ ٢٤ مِنْ ٱلْمُحَرَّمِ ١٤١٥هـ ٱلْمُوَافِقَ ١٩٩٤/٧/٣م.

* * * * * * *

نَسَبُ خَاتَمِ ٱلْوُرَّاثِ ٱلْمُحَمَّدِيِّينَ

ٱلإِمَامِ ٱلْمُجَدِّدِ ٱلسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ مَاضِي أَبِي ٱلْعَزَائِمِ عليه السلام

هُوَ سَلِيلُ أَهْلِ بَيْتِ صَدْرِ ٱلْخَلاَئِقِ، ٱبْنُ ٱلسَّادَةِ ٱلْمُقَرَّبِينَ، ٱبْنُ ٱلنُّجَبَاءِ ٱلأَكْرَمِينَ، ٱبْنُ ٱلْهُدَاةِ ٱلْمَهْدِيِّينَ، ٱبْنُ ٱلطَّيِّبِينَ ٱلْمُطَهَّرِينَ، ٱبْنُ ٱلْبُدُورِ ٱلْمُنِيرَةِ، ٱبْنُ ٱلسُّرُجِ ٱلْمُضِيئَةِ، ٱبْنُ ٱلأَنْجُمِ ٱلزَّاهِرَةِ، ٱبْنُ ٱلسُّبُلِ ٱلْوَاضِحَةِ، ٱبْنُ ٱلْعُلُومِ ٱلْكَامِلَةِ، ٱبْنُ ٱلسُّنَنِ ٱلْمَشْهُودَةِ، ٱبْنُ ٱلْمَعَالِمِ ٱلْمَأْثُورَةِ، ٱبْنُ ٱلصِّرَاطِ ٱلْمُسْتَقِيمِ، ٱبْنُ طَٰهٰ وَٱلْمُحْكَمَاتِ، ٱبْنُ يَسٓ وَٱلذَّارِيَاتِ، ٱبْنُ مَنْ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ.

ٱلسَّيِّدُ ٱلْفَرْدُ ٱلْغَوْثُ ٱلْكَامِلُ، وَٱلإِمَامُ ٱلْمُجَدِّدُ، وَٱلْحُجَّةُ ٱلثَّبْتُ فِي فَهْمِ كَلاَمِ ٱللّٰهِ، خَاتَمُ ٱلْوُرَّاثِ ٱلْمُحَمَّدِيِّينَ مَوْلاَنَا وَسَيِّدُنَا وَإِمَامُنَا ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدٌ مَاضِي أَبُوٱلْعَزَائِمِ عليه السلام فَرْعُ ٱلشَّجَرَةِ ٱلْمُحَمَّدِيَّةِ ٱلْمُبَارَكَةِ ٱلَّتِي أَنْبَتَهَا ٱللّٰهُ نَبَاتًا حَسَنًا وَسَقَاهَا بِفَضْلِهِ وَأَمَدَّهَا بِمَدَدِهِ فَأَثْمَرَتْ وَآتَتْ أُكُلَهَا بِإِذْنِ رَبِّهَا ٱلْعَظِيمِ، وَأَمَدَّهُ ٱللّٰهُ بِمَدَدِ سَيِّدِنَا رَسُولِ ٱللّٰهِ ﷺ وَآلِهِ، وَجَدَّتِهِ ٱلسَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ ٱلزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا ٱلسَّلاَمُ وَجَدِّهِ لأَبِيهِ مَوْلاَنَا ٱلْحُسَيْنِ سَيِّدِ ٱلشُّهَدَاءِ عليه السلام وَجَدِّهِ لأُمِّهِ مَوْلاَنَا ٱلْحَسَنِ عليه السلام،وَكَفَىٰ فَخْرًا لَهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ژ ڈ ڈ ژ ژ ژ ڑ ک ک ک ژ، وَقَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ ژ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ژ، عَلَيْهِمْ أَفْضَلُ ٱلصَّلاَةِ وَأَزْكَى ٱلسَّلاَمِ وَٱلتَّحِيَّاتِ.

* * * * * * *

نَسَبُ خَاتَمِ ٱلْوُرَّاثِ ٱلْمُحَمَّدِيِّينَ ٱلإِمَامِ ٱلْمُجَدِّدِ

ٱلسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ مَاضِي أَبِي ٱلْعَزَائِمِ عليه السلام

مِنْ جِهَةِ أَبِيهِ:

بِنِ ٱلسَّيِّدِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ مُصْطَفَىٰ عليه السلام بِنُ ٱلسَّيِّدِ أَحْمَدَ عليه السلام فَهُوَ ٱلسَّيِّدُ عَبْدُ ٱللّٰهِ ٱلْمَحْجُوبُ نِسْبَةً إِلَىٰ عَيْنِ مَاضِي بِجِوَارِ ٱلسَّاقِيَةِ ٱلْحَمْرَاءِ عَلَىٰ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ مَاضِي ــ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ صَالِحٍ عليه السلام بِنِ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ عَلِيٍّ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ عليه السلام ٱلْحُدُودِ بَيْنَ مَرَاكِشَ وَٱلْجَزَائِرِ ــ بِنِ ٱلسَّيِّدِ دَرْوِيشٍ بِنِ ٱلسَّيِّدِ عَبْدِ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ أَحْمَدَ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ رَمَضَانَ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام ٱلسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ بِنِ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ زَيْدٍ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ حَسَنٍ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ عَلِيٍّ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ عليه السلام ٱلْحَمِيدِ

بِنِ ٱلسَّيِّدِ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ إِبْرَاهِيمَعليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ عَلِيٍّ ٱلطَّوِيلِ عليه السلامٱلسَّيِّدِ حَسَنِ بِنِ ٱلسَّـــيِّدِ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ أَبِي ٱلْحَسَنِ مُوسَى ٱلْكَاظِمِ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ عَبْدِ ٱللَّهِ ٱلْعَوْكَلاَنِيعليه السلاممُحَمَّدٍ بِنْ سَيِّدِنَا ٱلْحُسَيْنِ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ عَلِيٍّ زَيْنِ ٱلْعَابِدِينَ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ ٱلْبَاقِرِ عليه السلامجَعْفَرٍ ٱلصَّادِقِ ٱلسِّبْطِ بِنِ ٱلإِمَامِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ بِنْ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمْ أَفْضَلُ ٱلصَّلاَةِ وَأَزْكَى ٱلسَّلاَمِ وَٱلتَّحِيَّاتِ.

* * * * * * *

نَسَبُ خَاتَمِ ٱلْوُرَّاثِ ٱلْمُحَمَّدِيِّينَ ٱلإِمَامِ ٱلْمُجَدِّدِ عليه السلامٱلسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ مَاضِي أَبِي ٱلْعَزَائِمِ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ عَلَيْهَا ٱلسَّلاَمُ :

بِـــنِ عليه السلامفَهِيَ ٱلسَّيِّدَةُ آمِنَةُ ٱلْمَهْدِيَّةُ عَلَيْهَا ٱلسَّلاَمُ ٱبْنَةُ ٱلسَّيِّدِ أَحْمَدَ ٱلْعَرَبِيِّ ٱلْفِرْجَانِيِّ ٱلسَّائِحِ بِنِ ٱلسَّيِّدِ عليه السلامٱلْقُطْبِ ٱلْكَامِلِ ٱلسَّيِّدِ خَادِمِ ٱلسَّادَةِ ٱلْقَادِرِيَّةِ وَنَسْلِ ٱلسُّلاَلَةِ ٱلْهَاشِمِيَّةِ ٱلسَّيِّدِ أَحْمَدَ ٱلْقَادِرِيِّ بِنِ ٱلسَّيِّدِ مُحَمَّـــدٍ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ زَيْنِ ٱلدِّينِ عليه السلامبِنِ ٱلسَّيِّدِ مُصْطَفَىٰعليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ سُلَيْمَانَ عليه السلامعَلِيٍّ بِنِ ٱلسَّيِّدِ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ زَيْنِ ٱلدِّينِ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ وَلِيِّ ٱلدِّينِ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ حُسَامِ ٱلدِّينِ عليه السلامدَرْوِيشٍ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ ٱلْهَتَّاكِي عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ شَمْسِ ٱلدِّينِ عليه السلامشَرَفِ ٱلدِّينِ بِنْ سَيِّدِ ٱلسَّادَاتِ قُطْبِ ٱلْوُجُودِ ٱلدُّرَّةِ ٱلْبَيْضَاءِ مَالِكِ أَزِمَّةِ ٱلْمُتَصَرِّفِينَ رَئِيسِ ٱلْمَحْبُوبِينَ ٱلإِمَـــامِ ٱلْجَـــوْهَرِ ٱلْفَرْدِ سَلاَّبِ ٱلأَحْوَالِ قُطْبِ ٱلأَقْطَابِ ٱلْغَوْثِ ٱلأَعْظَمِ ٱلْجَامِعِ بَيْنَ ٱلْمَعْشُوقِينَ ٱلسَّيِّدِ عَبْدِ ٱلْقَادِرِ ٱلْجِيلاَنِيِّ بِنِ ٱلسَّيِّدِ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ عَبْدِ ٱللَّهِ ٱلْجِيلِيِّ عليه السلامقَدَّسَ ٱللَّهُ سِرَّهُ بِنِ ٱلسَّيِّدِ أَبِي صَالِحٍ مُوسَىٰ جِنْكِي دِسْتِ بِنِ ٱلسَّيِّدِ عَبْدِ ٱللَّهِ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ مُوسَىٰ عليه السلام بِنْ ٱلسَّيِّدِ دَاوُدَ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ عليه السلاميَحْيَى ٱلزَّاهِدِ بِـــنِ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ حَسَنٍ ٱلْمُثَنَّىٰ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ عَبْدِ ٱللَّهِ ٱلْمَحْضِ عليه السلام بِنِ ٱلسَّيِّدِ مُوسَى ٱلْجُونِ عليه السلام سَيِّدِنَا ٱلإِمَامِ ٱلْحَسَنِ ٱلسِّبْطِ بِنِ ٱلإِمَامِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ بِنْ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمْ أَفْضَلُ ٱلصَّـــلاَةِ وَأَزْكَـــى ٱلسَّلاَمِ وَٱلتَّحِيَّاتِ.

* * * * * * *

خُلَفَاءُ ٱلإِمَامِ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلاَمُ

عليه السلامٱلْخَلِيفَةُ ٱلأَوَّلُ ٱلسَّيِّدُ أَحْمَدُ مَاضِي أَبُو ٱلْعَزَائِمِ

عليه السلامٱلْخَلِيفَةُ ٱلثَّانِي ٱلسَّيِّدُ مَحْمُودٌ عِزُّ ٱلدِّينِ مَاضِي أَبُو ٱلْعَزَائِمِ

عليه السلامٱلْخَلِيفَةُ ٱلثَّالِثُ ٱلسَّيِّدُ مُحَمَّدٌ عَلاَءُ ٱلدِّينِ مَاضِي أَبُو ٱلْعَزَائِمِ

عليه السلامنَائِبُ ٱلْخَلِيفَةِ ٱلثَّالِثِ ٱلسَّيِّدُ أَحْمَدُ عَلاَءُ ٱلدِّينِ مَاضِي أَبُو ٱلعَزَائِمِ

كَلِمُ ٱلإِمَامِ أَبِي ٱلْعَزَائِمِ عليه السلام:

ٱقْرَأْ مَا شِئْتَ مِنْ ضُرُوبِ ٱلإِعْجَازِ ٱلْبَلاَغِيِّ نَظْمًا كَانَ أَوْ نَثْرًا، مِمَّا دَبَجَتْهُ يَرَاعَاتُ ٱلْبُلَغَاءِ وَٱلْفُصَحَاءِ، وَتَنَاوَلْ مَا أَحْبَبْتَ مِنَ ٱلتُّرَاثِ ٱلْفِكْرِيِّ لِلإِنْسَانِيَّةِ فَسَتَجِدْ أَدَباً وَفَنًّا وَذَوْقًا وَعِلْمًا وَفَلْسَفَةً . . وَلَكِنَّكَ لَنْ تَجِدَ أَبَدًا تِلْكَ ٱلرَّاحَةَ ٱلنَّفْسِيَّةَ وَٱلإِشْرَاقَةَ ٱلرُّوحِيَّةَ، وَٱلطُّمْأَنِينَةَ ٱلْقَلْبِيَّةَ، وَذَ لِكَ ٱلشُّعُورَ وَٱلنُّورَ ٱلآسِرَ ٱلسَّاحِرَ، ٱلَّذِي يَتَدَفَّقُ فِي أَعْمَاقِ وِجْدَانِكَ، وَيُثِيرُ أَعْصَى أَحَاسِيسِكَ وَيَرْبِطُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَوَالِمِ خَفِيَّةٍ وَإِمْدَادَاتٍ وَإِشْرَاقَاتٍ عُلْوِيَّةٍ، وَمَعَارِفَ وَإِلْهَامَاتٍ مِنَ ٱلْمَكْنُونِ ٱلْمَضْنُونِ بِهِ، لَنْ تَجِدَ ٱلْبَعْثَ ٱلْحَيَّ ٱلْمُتَوَثِّبَ ٱلثَّائِرَ لِلْحِسِّ وَٱلنَّفْسِ وَٱلْجَوَارِحِ، لِلرُّوحِ وَٱلْقَلْبِ وَٱلْعَوَاطِفِ، لِكُلِّ ٱلْمُدَّخَرَاتِ ٱلْخَفِيَّةِ وَٱلْجَلِيَّةِ، لَنْ تَجِدَ كُلَّ هٰذَا إِلاَّ فِي كَلِمِ ٱلإِمَامِ أَبِي ٱلْعَزَائِمِ عليه السلام، وَمَا يُوحِي بِهِ مِنْ ذَوْقٍ وَخَوَاطِرٍ رُوحِيَّةٍ، وَتِلْكَ آيَةُ ٱلإِمَامِ عليه السلام ٱلْبَالِغَةُ وَحُجَّتُهُ ٱلْخَالِدَةُ .

لَقَدِ ٱرْتَبَطَ ٱلإِمَامُ أَبُو ٱلْعَزَائِمِ عليه السلام بِٱللَّهِ وَاقْتَاتَ بِحُبِّهِ، وَعَاشَ تَحْتَ أَنْوَارِهِ وَإِلْهَامِهِ، فَتَدَفَّقَ فِيهِ تَيَّارٌ مِنَ ٱلأُفُقِ ٱلأَعْلَىٰ وَسَرَىٰ بَيْنَ سُطُورِ كَلاَمِهِ شَيْءٌ يُذَاقُ بِٱلْقَلْبِ وَٱلرُّوحِ، وَيُفْهَمُ بِٱلْحِسِّ وَٱلشُّعُورِ وَتَعْجِزُ وَسَائِلُنَا ٱلْمَادِّيَّةُ وَفُنُونُنَا ٱلْعَقْلِيَّةُ عَنِ ٱلتَّعْبِيرِ عَنْهُ، أَوِ ٱلدُّنُوِّ مِنْهُ .

وَجَوْلَةٌ بِٱلْعَيْنِ أَوْ بِٱلْقَلْبِ فِي تُرَاثِ ٱلإِمَامِ أَبِي ٱلْعَزَائِمِ عليه السلام نَضَعُ أَيْدِينَا عَلَى ٱلسِّرِّ ٱلْخَفِيِّ فَسَتَجِدُ لِكُلِّ كَلِمَةٍ لَهُ أَجْنِحَةً وَرُوحًا وَحَيَاةً .

إِنَّهَا قِطْعَةٌ نَابِضَةٌ مِنْ قَلْبِ عَابِدٍ، وَخَفْقَةٌ مُحَلِّقَةٌ مِنْ شُعُورِ سَاجِدٍ، وَشُحْنَةٌ مُلْهَمَةٌ مِنْ رُوحِ وَاجِدٍ . إِنَّهُ كَلِمٌ عَلَيْهِ مِنْ رِضَاءِ ٱللَّهِ شُعَاعٌ وَسَنَاءٌ، وَفِيهِ مِنْ نَفَحَاتِ ٱلْقُدْسِ إِشْرَاقٌ وَبَهَاءٌ، إِنَّهُ كَلِمٌ يَعِيشُ تَحْتَ ظِلاَلِ ٱلنُّبُوَّةِ، وَيَتَعَلَّقُ بِرِسَالَتِهَا وَيُوَلِّي وَجْهَهُ نَحْوَ ٱلتَّنْزِيلِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ، لِيَأْخُذَ مِنْ نَبْعِهِ وَمِنْ وَحْيِهِ مَا يَنْفَعُ ٱلنَّاسَ، وَمَا يَمْكُثُ فِي ٱلْقُلُوبِ، وَمَا يُضِيءُ لِلإِنْسَانِيَّةِ طَرِيقَهَا ٱلصَّاعِدَ إِلَى ٱللَّهِ .

وَمِنْ خَوَالِدِ كَلِمِ ٱلإِمَامِ أَبِي ٱلْعَزَائِمِ عليه السلام تِلْكَ ٱلْحِكَمُ ٱلَّتِي مَشَتْ عَلَىٰ جَبِينِ ٱلشَّمْسِ، وَعَاشَتْ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَغَدَتْ لِعُشَّاقِ ٱلْبَيَانِ وَٱلْحِكْمَةِ إِمَامًا وَهَادِيًا . تَقْرَأُ حِكَمَهُ فَيَكَادُ بِكَلِمِهِ ٱلسَّاحِرِ يَنْقُلُ تَقْوَىٰ قَلْبِهِ إِلَىٰ قَلْبِكَ، وَتُحِسُّ بِخُشُوعٍ يَسْرِي فِي حِسِّكَ، وَتَرَى ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ تُحِيطُ بِكَ أَنْوَارُهُ وَعَطَايَاهُ وَآيَاتُهُ .

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

فاتحة الكتاب

التماس الطبعة الأولى

مقدمة

الباب الأول : فى النسب وبدء النبوة والحمل

الفصل الأول : نسبه الشريف

الفصل الثانى : بدء نبوته

الفصل الثالث : فى حمله عليه الصلاة والسلام

الباب الثانى : فى الميلاد والرضاع

الفصل الأول : مولده الشريف ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾

الفصل الثانى : الرضاع

الباب الثالث : فضله ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ على موسى وسائر الرسل الكرام

الفصل الأول : فضله ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ على موسى عليه السلام

الفصل الثانى : فضله ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ على سائر الرسل الكرام

الباب الرابع : رسول الله ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾ رحمة الله الواسعة لكل موجود

الباب الخامس : الاحتفال بمولده ﴿ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴾

الباب السادس : القصائد المحمدية

الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم